جامعة جرش
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الشعر السياسي والاجتماعي عند حيدر محمود

The Political and Social Poetry of Haidar Mahmoud

إعداد الطالب :
مخلد محمد علي العبادي

إشراف الدكتور
زياد بني عمر

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول
على درجة الماجستير في اللغة العربية

جامعة جرش

٢٠١٨

تفويض

أنا مخلد محمد علي العبادي أفوّض جامعة جرش بتزويد نسخ من رسالتي "الشعر السياسي والاجتماعي عند حيدر محمود" للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة .

التوقيع :

التاريخ :

قرار لجنة المناقشة

ناقشت اللجنة هذه الرسالة " الشعر السياسي والاجتماعي عند حيدر محمود "

علناً وأجازتها وذلك في يوم الثلاثاء الموافق ١٦/ ٢٠١٨/١م

أعضاء اللجنة	**التوقيع**
١. الدكتور زياد بني عمر	مشرفاً .....
٢. الدكتورة أروى ربيع	عضواً .....
٣. الأستاذ الدكتور محمد المجالي	عضواً خارجياً .....

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
التفويض	أ
قرار لجنة المناقشة	ب
فهرس المحتويات	ج
الإهداء	د
الشكر والتقدير	هـ
الملخص الرسالة باللغة العربية	١
المقدمة	٢
الفصل الأول : الشعر السياسي عند حيدر محمود	٥
المبحث الأول : موضوعات الشعر السياسي عند حيد محمود	٨
١. الانتفاضة الفلسطينية	٨
٢. العلاقة الوطيدة بين الشعبين الأردني والفلسطيني	١٨
٣. الشعر الوطني	٢١
المدن الأردنية والفلسطينية	٢٦
مدح الشخصيات الوطنية	٣٢
الأعياد المناسبات الوطنية	٣٤
٤. الوحدة العربية والإسلامية والواقع المعاصر	٣٥
٥. المسالة العراقية	٤٢

المبحث الثاني : استدعاء الشخصيات التاريخية ذات البعد السياسي	٤٥
١. شخصية تأبط شرا المتمردة	٤٦
٢. شخصية صلاح الدين الأيوبي المحررة والموحدة	٥١
٣. شخصية سيدنا أيوب المتحملة والصابرة	٥٥
الفصل الثاني : الشعر الاجتماعي عند حيدر محمود	٦١
المبحث الأول : أبرز القضايا الاجتماعية عند حيدر محمود	٦٢
- المحسوبية والنفاق الاجتماعي	٦٣
- الفقر والعوز والحاجة	٦٧
- الجهل وغياب الوعي	٧١
المبحث الثاني : استدعاء الشخصيات التاريخية ذات البعد الاجتماعي	٧٧
١. شخصية مصطفى وهبي التل (عرار)المقاومة للظلم	٧٧
٢. شخصية المتنبي المثقّف وطالب السلطة	٨٤
٣. شخصية عبده موسى الإنسان البسيط	٨٨
الفصل الثالث : دراسة فنية	٩٠
المبحث الأول : جماليات الصورة عند حيدر محمود	٩١
المبحث الثاني : المعجم الشعري عند حيدر محمود	١١٧
الخاتمة	١٤٣
قائمة المصادر والمراجع	١٤٤
ملخص باللغة الإنجليزية	١٤٧

الإهداء

إلى أبي العزيز الذي أحمل اسمه بكلّ فخر

إلى أمّي الحبيبة بسمة الحياة وسر الوجود

إلى زوجتي الغالية رفيقة الدرب أم عباد

إلى أبنائي ونور حياتي

سلاف وعباد وسوار ويمان

أهدي هذا العمل

شكر وتقدير

الحمد لله ربَ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد .....

فإنَه يشرفني أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير ، لمن علَمني الجلد والصبر في الكتابة والبحث ، ولمن أرشدني إلى أساسيات البحث العلمي ، إلى مشرفي الدكتور زياد بني عمر ، على صبره وتفانيه وتشجيعه لي وإرشاده ، كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور محمد المجالي والدكتورة أروى ربيع اللذين شرفاني بقبولهم مناقشة رسالتي ، كما أتقدم بالشكر كذلك إلى الدكتور محمد ربيع الذي شجعني على كتابة هذا البحث ، كما يشرفني أيضاً الثناء على جميع العاملين في الكلية أساتذة وموظفين لما قدموه من جهد ومساعدة ليرى هذا العمل طريقه إلى النور .

والله ولي التوفيق

الملخص

العايد ، مخلد محمد علي ، الشعر السياسي والاجتماعي عند حيدر محمود رسالة ماجستير ، بجامعة جرش ، ٢٠١٨م (المشرف : الدكتور . زياد بني عمر)

هذه الرسالة الموسومة بـ (الشعر السياسي والاجتماعي عند حيدر محمود) درست الشعر السياسي والاجتماعي عند حيدر محمود ، وتطرقت لأبرز القضايا السياسية والاجتماعية .

وقد تم اختيار الشاعر حيدر محمود للدراسة ، لما حفل به شعره من أبعاد سياسية واجتماعية ، ولتعلقه بالأرض الأردنية سهولها وجبالها وباديتها ،ولشعوره بالهمَ الأردني الذي يعيشه كلَ الأردنيين والشاعر حيدر محمود حريَ بالدراسة فهو يمثل طليعة الشعراء الأردنيين المجددين وشعراء العربية المعاصرين ولتحقيق الهدف الذي تصبو إليه الرسالة ، انتظمت خطتها ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة .

ويتحدث الفصل الأول عن الشعر السياسي عند حيدر محمود مناقشاً أبرز القضايا السياسية التي عالجها حيدر محمود في شعره ، مع استشرافه للمستقبل السياسي الذي ينتظر العرب ، فضلاً عن استلهام أبرز الشخصيات السياسية التي كان لها دور في تقدم الأمة ونهضتها .

ويتناول الفصل الثاني الشعر الاجتماعي عند حيدر محمود ، وأبرز المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع العربي ، وإبراز الهمَ الأردني على وجه خاص وكذلك التطرق لأبرز الشخصيات الاجتماعية التي كان لها دور في بناء المجتمع وتقدمه .

أما الفصل الثالث فهو دراسة فنية تطبيقية تتناول جماليات الصورة الفنية عند حيدر محمود ،وكذلك المعجم الشعري عنده .

وختمت الرسالة بخاتمة استعرضت أهم النتائج التي تمخضت عنها الدراسة .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى كلٍّ من سار على نهجه إلى يوم الدين .

وبعد :

فالشعر ديوان العرب وسجلّ حياتهم ، وهو من أكثر الأجناس الأدبية اتّصالاً بوجدان الأمة وتاريخها فلقد سار معها في معترك حياتها ، وصوّر انتصاراتها وانكساراتها ، وعاداتها وتقاليدها ، وملامح شخصيتها المتفرّدة بها عن سائر الأمم ، ويمكن القول أنّ الشعر العربي من أصدق الوثائق التاريخية التي يعوّل عليها عند العرب ، لكثرته من جهة ، ولصدقه من جهة أخرى .

والشاعر الذي أنا بصدد دراسته حيدر محمود يمثّل حال الأمة ولسانها ، لأنّه من أكثر الشعراء الأردنيين الذين عبروا عن الجانب السياسي الذي تمرّ به الأمّة العربية ، والجانب الاجتماعي الذي تعيشه وهو الشاعر الذي صوّر هذا الواقع تصويراً دقيقاَ ، لهذا ركّز بحثي على موضوع بارز من موضوعات شعرنا الحديث ، وهو الشعر السياسي والاجتماعي عند حيدر محمود ، ولقد حرصت على تتبّع الجوانب السياسية والاجتماعية التي طرحها حيدر محمود في شعره ، وعلى أهمّ مظاهر النقد السياسي والاجتماعي التي عالجها .

والسبب في اختياري لهذا الموضوع هو إحساسي القوي بأهمية الشاعر حيدر محمود في الساحة الأدبية الأردنية والعربية ، ومن الدراسات التي عالجت جانباً من جوانب شعر حيدر محمود دراسة للأستاذ الدكتور محمد المجالي، بعنوان (الشاعران حيدر محمود ونزار قباني دراسة نقدية) ، يتحدث فيها عن الشاعرين حيدر محمود ونزار قباني ، وقد أفرد فصلاً مختصراً تحدّث فيه عن النقد الذاتي عند حيدر محمود ، وكذلك دراسة قامت بها الباحثة أروى ربيع بعنوان (الحسّ القومي في شعر حيدر محمود) ، ركّزت فيها على الجوانب القوميّة في شعره ، ولم تعرّج فيها على الشعر الاجتماعي عند حيدر محمود ، كما هو حاصل في هذه الدراسة التي حاولت أن تعرض بشيء من التفصيل الجوانب السياسية والاجتماعية في شعر حيدر محمود .

ومن الدراسات التي عالجت موضوعاً محدداً من شعر حيدر محمود دراسة للباحثة إيمان ربيع بعنوان (ثنائية الأرض والإنسان في شعر حيدر محمود) ، ركّزت فيها على قيمة الأرض والوطن عند حيدر محمود وكذلك دراسة أخرى للباحث فايز محمود النصّار بعنوان (الرموز التراثية في شعر حيدر محمود) تناول فيها الجوانب التراثية وتوظيفها في شعر حيدر محمود ، وهناك دراسة أخرى للباحثة فاطمة البعول بعنوان (المكان في شعر حيدر محمود) تحدّثت فيه الباحثة عن علاقة حيدر محمود بالمكان الذي يعيش فيه ، وهناك دراسة أخرى للباحث مجدي الخطيب (بعنوان الظواهر الأسلوبية في شعر حيدر محمود) . وهي دراسة فنّية تناولت أبرز الظواهر الفنّية في شعر حيدر محمود ، وقد تناولت الدراسات السابقة جانباً محدداً من شعر حيدر محمود خلاف هذه الدراسة التي تعاملت مع شعر حيدر محمود بشيء من الشمولية .

وقد سرت في هذا البحث على النحو التالي : قسّمت الدراسة إلى مقدّمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة أفردت الفصل الأول للحديث عن الشعر السياسي عند حيدر محمود ، وقسّمت هذا الفصل إلى مبحثين

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن أبرز القضايا السياسية التي عالجها حيدر محمود في شعره ، والتي احتلّت فيها القضيّة الفلسطينية المكانة البارزة ، وما يتعلّق بهذه القضيّة من موضوعات ، مثل النكبة والنكسة والكرامة ، وممارسات اليهود الظالمة تجاه الشعب العربي في فلسطين ، وضرورة المقاومة العربية والإسلامية لهذا العدوان ، والوحدة العربيّة وضرورتها .

والمبحث الثاني : فتناولت فيه أبرز الشخصيات العربية والإسلامية ذات البعد السياسي ، التي استدعاها حيدر محمود في شعره ، وما تمثّله هذه الشخصيات من مكانة كبيرة في الذاكرة العربية لما قامت به من إنجازات سياسية ومن أبرز هذه الشخصيات : شخصية تأبّط شراً الثائرة الأبيّة ، وشخصية صلاح الدين المحرّرة والموّحدة وشخصية سيدنا أيّوب المتحمّلة والصابرة ، ومدى حاجة الأمّة لهذه الشخصيات مجتمعة

وفي الفصل الثاني : تحدّثت عن الشعر الاجتماعي عند حيدر محمود ، وأهمّ الهموم الاجتماعية التي عالجها في شعره من فقر وجوع وعوز ، بالإضافة إلى الجهل وعدم الوعي ، والنفاق الاجتماعي السائد ،وقد قسّمت هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : يتحدّث عن الهموم الاجتماعية التي يعيشها المواطن الأردني ، وإبراز الهمّ الاجتماعي الأردني .

أما المبحث الثاني : فيتناول أبرز الشخصيات الاجتماعية العربيّة والأردنية ، التي استدعاها حيدر محمود في شعره ، والتي كان لها أكبر الأثر في هذا الجانب ، ومن هذه الشخصيّات شخصيّة مصطفى وهبي التّل (عرار) ، وهي الشخصيّة التي تحاول إصلاح المجتمع ومحاربة الفاسدين فيه ، وشخصيّة المتنبي ، وهي

الشخصيّة التي تمثل شخصيّة المثقّف العربي في حالتيه : الإيجابية التي تحاول الإصلاح ووسيلتها الشعر والأدب ، أو السلبية التي تقف مع الفاسدين وتدافع عنهم ، وشخصيّة عبده موسى التي تمثّل شخصيّة المواطن البسيط ذي المكانة الأدبيّة المرموقة ، ولكنّها لا تنال الاحتفاء المطلوب أو التقدير المستحق .

أما الفصل الثالث : فهو دراسة فنيّة تناولت في المبحث الأول منها جماليات الصورة عند حيدر محمود ، وتوقفت فيها عند مفهوم الصورة الشعرية وأنواعها ، وعرضت قصيدتين لحيدر محمود موضحاً فيهما جمال التصوير وبراعته .

وأمَا المبحث الثاني فتناولت فيه المعجم الشعري عند حيدر محمود ، حيث جمعت فيه معظم المفردات الشّعرية ، التي ركن إليها الشاعر في شعره ، وبيّنت دلالة هذه المفردات وما توحي إليه .

وأنهيت البحث بخاتمة لخّصت فيها أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج ، ثم ذكرت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها .

هذا وقد حكم البحث المنهج التحليلي ، إذ كان شعر الشاعر هو الملاذ دائماً ، وهو المرجع الأساسي الذي اجتهدت في تناوله تناولا تحليلياً .

وأخيراً أرجو أن يسهم هذا البحث في رصد جانب مهم من جوانب شعر حيدر محمود ، ورصد تجربة شعرية لشاعر أردني احتلّ مكانة مرموقة في الساحة الأردنية والعربية ، حاثاً الدارسين إلى مواصلة البحث والتنقيب في شعر حيدر محمود ، فإني والحمد لله بذلت غاية جهدي للوقوف على جوانب الموضوع وحدوده وإن أصبت فبفضل من الله ، وإن أخطأت أو قصّرت فذلك ديدن البشر وطبيعتهم ، والحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول

الشعر السياسي عند حيدر محمود

الشعر السياسي عند حيدر محمود

لم يكن الشعر السياسي وليد هذا العصر ، وإنّما كانت بداياته منذ العصر الجاهلي ، إذ يعدّ دفاع الشاعر الجاهلي عن قبيلته شعراً سياسياً ، وكذلك الشعر الذي نظمه الشعراء الجاهليون في معرض حديثهم عن حروبهم وأيامهم ومواثيقهم ومعاملاتهم ، وما غرض المديح إلا نوع من أنواع الشعر السياسي ، ثم تطوّر الشعر السياسي في عصر صدر الإسلام ، فأصبح الشعر الذي نظمه الشعراء المسلمون في الردّ على شعراء المشركين شعراً سياسياً ، على اعتبار أنّ الإسلام ينظر إليه على أنه حركة سياسية فضلاً عن كونه حركة دينية .

وفي العصر الجاهلي شرع الشعر بوصف الأحداث السياسية التي حدثت مثل حروب الردة والمعاهدات والمواثيق والرسائل ، والصراع على الحكم بين قريش والأنصار وغيرهم .

وظلّ الشعر السياسي ينمو ويتطور عبر العصور ، ففي العصر الأموي بدأ الشعر السياسي يسجّل مواقف الأحزاب السياسية ونظرتها إلى الحكم ، ونشر الدعاية السياسية لكلّ الأحزاب المتصارعة كالأمويين والعلويين والخوارج ، بحيث كانت السجلات الشعرية مثالاً حياً للصراعات السياسية .

وما قيل عن العصر الأموي يمكن أن ينسحب على العصر العباسي ، فقد بقيت الأحزاب السياسية تدافع عن حقها في الحكم والخلافة مع تغير بسيط في طبيعة هذه الأحزاب .

وفي العصر الحديث تطور الشعر السياسي ، وتشعبت موضوعاته ، وعالجت الكثير من مناحي الحياة ، ومن الموضوعات التي عالجها الشعر السياسي في العصر الحديث ، موضوع التحرّر من المستعمر ، والشعر الذي يدعو للمقاومة ، وكذلك النضال من أجل الديمقراطية وحرية التعبير، وظلم الحاكم وممارسات الأنظمة الفاسدة والطاغية .

وقلّما نجد شاعراً حديثاً لم يكتب شعراً سياسياً ، نظراً لأنّ المادة السياسية تضخّمت فشملت معظم مناحي الحياة وقبل أن نخوض في الشعر السياسي نتعرّف على معناه المعجمي والاصطلاحي ، فمعنى السياسة كما جاءت في المعاجم اللغوية لا تخرج عن القيام بأمر الرعية وتولي أمرها ، قال الزبيدي في معجمه " من المجاز سست الرعية سياسة بالكسر ، أمرتها ونهيتها ، وساس الأمر سياسة قام به "[1]

([1]) الزبيدي ، مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٧ ،

وفي لسان العرب لا يخرج معنى السياسة عن المعنى السابق ، فهو : "السوس :الرياسة ، يقال ساسوهم سوساً ، وساس الأمر سياسة : قام به ، ورجل سائس من قوم ساسة وسوّاس " [١]

ويعرّف أحمد الشايب الشعر السياسي بأنّه " الفنّ من الكلام الذي يتّصل بنظام الدولة الداخلي أو بنفوذها الخارجي ومكانتها بين الدول " [٢]

" والشعر السياسي هو أحد أنواع الشعر العربي لكنه يتميز عن باقي أنواع الشعر بتعبيره عن توجهات سياسية معينة و آراء شخصية لشعراء مع المحافظة على طريقة كتابة الشعر و قيم الشعر الأدبية و الفنية."[٣]

ونخلص من التعريفات السابقة إلى أن الشعر السياسي هو ذلك الغرض من الشعر الذي يناقش ويعالج قضية سياسية معينة ، أو يروج لمبدأ سياسي معين .

ومن خلال تتبع الشعر السياسي العربي وجدناه يندرج في معظمه تحت العناوين التالية :

الأول : الشعر التحرري المرتبط بحركات التحرر، وقد نشط هذا النوع من الشعر مع بدايات القرن العشرين مع وجود المستعمرين ، وبقي حتى يومنا الحالي ملازماً للقضية الفلسطينية .

الثاني : الشعر الوطني والقومي : وهو الشعر الذي ينظم للحديث عن الوطن ، ومدى تعلّق الإنسان به وكذلك القومية التي ينتمي الإنسان إليها .

الثالث : الشعر السياسي الذي يتناول شأناً سياسياً معيناً ، وقد تشعبت الموضوعات السياسية كثيرا فمنها وصف المعارك والحروب والمعاهدات والمواثيق ، ونقد سياسة الحكم أو موالاتها ، والمناداة بحرية التعبير ، والمطالبة بالديمقراطية ، ومكافحة الفساد وغيرها الكثير .

([١]) ابن منظور : لسان العرب ، مادة سوس، دار صادر، بيروت ’ط٤، السنة ٢٠٠٥ .

([٢]) الشايب ، أحمد : تاريخ الشعر السياسي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ط٥, ص٤.

([٣])http://mawdoo٣.com تاريخ الزيارة ٢٠١٧/١٢/١٤ .

وقد سار الشاعر حيدر محمود على هذا النهج ، فقد عالج الموضوعات السياسية التي ذكرناها ، من الشعر الوطني الذي جعل له مساحةً كبيرةً من دواوينه ، فكثيراً ما كان يتحدث عن الأردن وفلسطين بوصفهما وطنه المحبوب ، وكذلك نالت القضية الفلسطينية والحديث عن المستعمر مساحةً ليست بالقليلة أما القضايا السياسية الأخرى فقد عالجها معالجةً تفصيليةً ، كالحديث عن النكبة والنكسة والكرامة ومأساة العراق والانتفاضة الفلسطينية والوحدة العربية وغيرها ، ومن أبرز المواضيع السياسية التي عالجها حيدر محمود في شعره المواضيع الآتية :

موضوعات الشعر السياسي عند حيدر محمود

الانتفاضة الفلسطينية :

الانتفاضة الفلسطينية الأولى أو انتفاضة الحجارة ، سمّيت بهذا الاسم لأنّ الحجارة كانت الأداة الرئيسة فيها ، كما عرف الصغار من رماة الحجارة بأطفال الحجارة ، والانتفاضة شكل من أشكال الاحتجاج الشعبي العفوي الفلسطيني على الوضع الفلسطيني الصعب في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، وعلى انتشار البطالة والفقر ، وإهانة الشعور القومي والوطني ، والقمع الذي تمارسه سلطات الاحتلال الصهيوني ضد الفلسطينيين .

شكلّت الانتفاضة الفلسطينية الأولى ، انتفاضة الحجارة حدثاً سياسياً بارزاً لدى الأدباء والشعراء العرب ، وخاصة أبناء فلسطين منهم ، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر الأردني حيدر محمود ، الذي صوّر الانتفاضة تصويراً حياً وشاملاً ، من تقديس الحجر الذي يمثل سلاح هذه الانتفاضة الرئيس ، وهو السلاح الموجّه ضد المحَتل الصهيوني ، إلى أولئك الأبطال والأطفال ، أبطال الحجارة وأطفال الحجارة الذين مارسوا حقهم المشروع في الدفاع عن أرضهم ومقدساتهم .

ومن القصائد التي صورت هذه المقاومة المشروعة ، وهذه الانتفاضة الباسلة قصيدة " هذا الرذاذ "التي أراد الشاعر من تسميتها بهذا الاسم أن ينوّه إلى أنّ هذه الانتفاضة ما هي إلا البداية في مقاومة المحتل ، وستكون الخطوة الأولى ولن تكون الأخيرة في مقاومة المحتل ، فهي كالمطر الذي يأتي خفيفاً ،ثم سرعان ما يكثر ويزداد .

يقول الشاعر حيدر محمود :

ردْدتني .... وأنا الأعمى إلى بصري
فاسلم فديتُك بالعينين يا حجري! [1]

([1]) محمود،حيدر : الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت, الطبعة الأولى ،٢٠٠١، ص ٧٤.

فالحجر قد ردّ إلى الشاعر بصره ،بعد مدة طويلة من العمى ، والحجر كذلك يمثل طلوع الشمس والقمر، وعنوان الصبر، وإشارة الظفر بالنسبة للفلسطيني .

من بعد أنْ : كدتُ أنساني

وأدفُنني . . .

طَلْعْتُ. . .

مثل طلوع الشمسِ والقمرِ

وصرتُ عنوانَ صبرٍ

لا يماثله ... صبرٌ

وشارة إصرارٍ، على الظَّفرِ . .

جسمي الذي قطّعوه . .

عاد ثانيةً . . . .

جسمي . . . .

وأصبح من صخْرٍ ،

ومن شررٍ . .

واسمي الذي شطبوهُ ،

من دفاترهُم . . .

أتى ليشطبهم من دفتر البشرِ ... ! [1]

([1]) محمود ، حيدر ، المصدر السابق ، ص٧٤.

ويصوّر الانتفاضة الفلسطينية بمثابة من يصحو بعد نوم طويل .فيقول :

"إنّي صحوتُ ، فيا محتلُ ويلكَ منْ

صحوِ المسافرِ . .

إمّا آب من سفر !!

لن تستريح معي ،

بعد اكتشاف دمي ،

فإنّ بركان حقدي ، بعدُ لم يثُرِ [1]

والانتفاضة هي البداية في نظر الشاعر ، وهي المقدمة لأحداث جسام تنتهي بطرد المحتل من أرضنا .

"وليس ما مرَّ . .

إلاّ بعضَ وشوشتي ،

أو بعض رشرشتي ،

والويلُ ..... من مطري! [2]

وهنا في هذا المقطع يفرّق الشاعر بين الرذاذ والمطر، فالرذاذ هو الانتفاضة بأطفالها وحجارتها ونسائها ، أمّا المطر فهو الثورة الشاملة التي لن تكتفي بالحجارة في سبيل تحقيق أهدافها ،وإنّما ستستخدم جميع السبل المتاحة في سبيل الحرية والاستقلال .

---

(١) المصدر السابق ، ص٧٥ .
(٢) المصدر نفسه : ص٧٦

ويوجه الشاعر رسالة إلى المحتل بمغادرة أرضه التي هي بمثابة غرفة نومه ، مع ما تمثله هذه الإشارة من قيمة وعزة وشرف لا يمكن لأي إنسان شريف أن يفرّط فيها فيقول :

" مُحتلُّ غرفة نومي ، لن تنام على

سرير أمّي ، بعد اليومِ ..

فانتظر . . .

قد أيقظ الحجرُ الناريُّ

نارَ يدي

وصاح : يا نارُ

لا تُبقي . .

ولا . . . تذري!! [1]

ويذكّرنا الشاعر بالحالة التي كان عليها الشعب الفلسطيني قبل الانتفاضة ، والحالة تلك أشبه ما تكون بالموت في نظره .

إنّي ، وقد كدتُ أنسى اسمي ،

ولونَ دمي . .

أصبحتُ أُؤمنُ، بعد الله ،

بالحجرِ!! [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٦ .

وفي قصيدة أخرى عن الانتفاضة بعنوان "يا أيّها الحجر النبيل "يصف الشاعر الحجر، ويعلي من شأنه ، ويرفعه إلى درجة العاقل والمدرك والمميز والفعّال ، فهو المبشّر بزوال الاحتلال ، وهو المفجّر لطاقات الأمة ، وهو المغيّر لهذا الواقع المعيش ، وهو رسول الحرية والاستقلال .

افتح لنا . . « باب الخليل »

واكتب على الحيطان ،

بعد الآن . . .

ما من مستحيلْ !!

طال انتظارُ الجاهلّيةِ

للهُدى . . .

فكن المبشّر ،

والمفجّر ،

والمغيّر ،

والرسولْ . . .

واشرحْ صدورَ اليائسين ،

فكم على شرفاتها انتظروك ،

واسمحْ . . بالدُّخولْ ! [1]

ويصفه بالمهر الذي لا يخاف ، والذي لم يتلق الصدقات من وكالات الأمم المتحدة ، ولم يتعاط فن الذل والخنوع كما تعاطى غيره .

يا أيّها المهرُ الذي . .

نبتتْ قوائمُهُ بلا خوفٍ . .

وطارد في ملاعبِهِ ،

بلا زيفٍ . . .

ولم يرضعْ حليبَ

« وكالة الصدقات! »

([1]) المصدر السابق ، ص ٧٧-٧٨ .

أو يتعاط مثل ذويهِ ،

عُشبَ المستحيلْ . .

اكتبْ على الحيطان :

بعد الآن . . .

ما مِن مستحيلْ !! [1]

ويركّز الشاعر على فكرة أنّ الانتفاضة هي بداية التحرر ، وهي المرشد الذي يرشد الآخرين إلى الطريق السليم للتحرر ، طريق المقاومة لا طريق السلام المزعوم ، ولا طريق الاستسلام .

حمحمْ . .

لتتبعك الخيولْ . .

حمحمْ . .

فقد تعبتْ حوافرها ،

من القيد الذي حملتْهُ

جيلاً، بعد جيل !

وارجُمْ . . تُصبْ أنّى رجمتَ

رؤوسَ من ضلّوا السّبيلْ

ونفوس من لم يؤمنوا :

أنَّ الفلسطينيّ لا يفنى

وإنّ الأمّهات ، يلدن

في كلّ الفُصولْ . .! [2]

---

(1) المصدر السابق ، ص ٧٨ .
(2) المصدر نفسه : ص٧٩

وفي قصيدة أخرى سماها " لامية الحجر " ، يعوّل فيها الشاعر على الذات الفلسطينية بما تملكه من سلاح - وهو الحجر - في زوال الاحتلال ، ويطلب من الشعب الفلسطيني الاعتماد على ذاته ، وعدم الانجرار وراء الآخرين وانتظار سيوفهم التي لن تصل :

كفى انتظاراً لسيفٍ

في غدٍ . . يصلُ

ورايةٍ ،

بدم الغازي. . ستغتسلُ !

وفارسٍ ، سوف تأتينا به

فرسٌ ..

حيناً . . وحيناً سيأتينا به

جملُ ! . .[١]

ويؤرخ الشاعر للمدّة الطويلة التي عاشها الشعب الفلسطيني في انتظار المخلّص ، التي أخذت من جسده ووطنه كلّ مأخذ ، مع إشارة جميلة إلى أنّ تلك الأعوام لم تكن ربيعاً تبتهج النفوس منه ، ولكنّه خريف مع ما يمثله الخريف من دلالة سيئة في نفوس البشر .

من أربعين خريفاً،

والعيون على كلّ الدروبِ،

ولمّا . . يظهر البطلُ !!

. . وكيف يظهر ؟!

والصحراءُ عاقرةٌ . .

من ألفِ عامٍ . .

وما في رملها . . رجُلُ !!

مات النخيلُ الذي فيها

فلا عذقٌ . .

وجفّ ماءُ سواقيها . .

فلا . . بللٌ ![٢]

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٨١.

ويشهّر بالكذابين الذين ليس لهم همّ سوى بقاء أنظمتهم ونفطهم ، ومتاجرتهم بالقضية الفلسطينية التي يعيشون عليها ، ولا يعيشون لأجلها .

كفى انتظاراً

لكذّابين ليس لهم

قضيّة ، غير أن تبقى

لهم . . دولُ !

وإنْ يظلّ لهم نفطٌ ...

ولو غرقوا ..

به .. ولو بلظى نيرانه ،

اشتعلوا!! [1]

وفلسطين بالنسبة إلى هؤلاء ليست سوى مبكى يذهبون إليه في حال رغبتهم بالبكاء .

. . وهم يريدوننا "مبكى "

يُلاذ به . .

إذا أرادوا دموعاً ،

فاضت المقلُ . .

وإن أرادوا دماءً

يغسلون بها

عار انكساراتهمْ

غُصت بها السبلُ !![2]

وكم غضبوا منّا لمطالبتنا بحقوقنا التي تعني عندهم تطرفاً وتزمتاً وبعداً عن الواقع .

..ويغضبون إذا بُحنا

وإنْ سمعوا

لُهاث أنفاسنا ،

صاحوا بنا : « اعتدلوا »!

([1]) المصدر السابق ، ٨١-٨٢
([2]) المصدر نفسه ، ص٨٢ .

ليغضبوا .. كيف شاءوا

من تطرّفنا ..

فقد تساوى لدينا :

الفوز والفشل " [١]

ويعيد الفكرة مرة أخرى بقالب آخر ، فلا اتّكال إلا على الله أولاً ، وعلى الحجر ثانياً .

وما سوى الموت يُخشى ،

وهو مُنقذنا

من الهوان . .

الذي ما عاد يُحتملُ !!

إنّا لنعلنُ : أنا وحدنا .. وعلى

حجارة الأرض ، بعد الله، نتّكلُ! [٢]

ويطلب من الجبال ألّا تحمل في بطونها إلا صخوراً ، ولا تلد إلّا رجالاً قادرين على حمل هذه الصخور ورميها .

فيا جبالُ . . احملي صخْراً
ولا تلدي
إلاّ الأكفّ التي
بالحقد . . «تشْتملُ »!
وبالكراهية المرهوب جانبها
بكلّ من هان . .
أو من خان
تشتغلُ . . . .
يكفي فلسطين
ما لاقته من دجلٍ
وما تلاقيه ...
فليصدق .. ولوْ.. رجُلُ! [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص٨٢-٨٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٨٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص٨٣-٨٤.

ويعلى من شأن أطفال الحجارة مفجّري الثورة ، الذين لا يريدون من ورائها جاها ولا ثروة ويستعير الشاعر شخصيات لها مدلولات تاريخية إسلامية ، ليضفي على أطفال الحجارة نوعاً من القداسة والاحترام ، فيستعير شخصية خالد بن الوليد وخولة بنت الأزور وفاطمة بنت النبي عليه السلام لخدمة هذا المشهد وتكليله بالمجد ، فخولة بنت الأزور تمثل المرأة العربية الشجاعة التي تدافع عن أرضها ومقدساتها ، وفاطمة بنت النبي محمد كذلك تمثل المرأة الصابرة والمجاهدة التي لا ترضى بالذل ، وهنا يقرّر الشاعر أنّ المقاومة ليست حكراً على الرجال .

أما رأيتم صباياها ، وصبيتها

كأنّهم من سماوات العُلى

نزلوا..

كأنّ خولة ،
في جلباب ((فاطمةْ))
وابن الوليد ،
له في غزّةٍ ، مثلُ .. (١)

ويعيب الشاعر على العرب عدم وقوفهم إلى جانب الأقصى والذّود عنه ، بالرغم من أعداد العرب الهائلة ، والوحيد الذي لبّى نداءه واستجاب لصرخته هو الحجر ، والحجارة على قساوتها قد رقّت وشعرت مع هذا الشعب المظلوم ، أمّا قلوب العرب فقد ظلّت قاسية صلدة دون شعور .

نادى على قومه الأقصى. . فما انتفضتْ

إلا الحجارة . . تفْديه وتحميه !

رقَّتْ، وما رقّ منهم واحدٌ . . وبكتْ

كلّ القلوب عليه . . غيْر أهْليه !

يا ((ألف مليون مخلوقٍ))..ولا أحدٌ

حتّى الجرادُ .. يُعادى، من يُعاديه! (٢)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٤
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٩

العلاقة الوطيدة بين الشعبين الأردني والفلسطيني

شكّلت العلاقة الوطيدة بين الشعبين الأردني والفلسطيني ، والضفتين الشرقية والغربية محوراً رئيساً في شعر حيدر محمود ، إذ لم يستطع الشاعر أن يفصل بين هذين التوأمين ، فهما كالجسد والروح لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، وإذا انفصل تلاشى وانتهى .

يبدو ذلك جلياً في قصيدته "الضفتان توأمان " إذ يقول :

" على خطاهُ الثابتاتْ

تنتصبُ القاماتْ..

نحنُ رجالهُ.. وإخْوتُهْ

تجمعُنا ، في الحقّ ، كلْمتهْ

فالأفق الشرقيُّ، والغربيُّ ،

توأمانْ . .

الضّفتان توأمانْ

المجدُ، والأردنُّ، توأمانْ (١)

" وأبرز ما يظهر في الشعر الحيدري من أرض الأردن نهرها (نهر الأردن) ، الذي ترد صوره في هذا الشعر مشفوعة بالاعتزاز والتقديس والمحبة ، والذي أفرد له الشاعر ما يشبه الملحمة ، بدا من عنوانها التقديس ، إذ سمّاها (نهر الأنبياء) ، ووصفه بأنّ اسم الله حادي ركبه ، كما ذكر خلوده ، وإنّ بوحه الأزلي آيات لقدرة الله ، وأكّد أنّ فيه جلال الأنبياء ، وكلّ هذه الصفات تفصح عن قدسية هذا النهر" (٢) ، وفي هذه القصيدة "نهر الأنبياء " يمجّد الشاعر هذا النهر ويفتخر به لأنّه نهر مقدس ، يربط بين شقيقتين :

" ينسابُ ..واسم الله حادي ركْبِهِ

يا طيبَ منبعه ،وطيب مصبّهِ

نهرٌ.. يموتُ الدهرُ ..وهو مخلدٌ

لا ينثني عن سيره،في دربه

فيه جلالُ الأنبياء.. وبوحُه

---

(١) المصدر السابق ، ص١٨٢ .

(٢) ربيع ، إيمان : ثنائية الأرض والإنسان ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، ٢٠١١،ص٣٠ .

الأزلي .. آيات لقدرةِ ربهِ

يسقي الثرى الصادي، فيستعلي على

كلّ الجنان .. بسحرهِ وبخصبهِ

لكأنّه .. لما يُوشوش ماؤهُ

حبّاتِهِ .. صبٌّ يبوحُ بحبّه " [1]

ويصوره بأنّه عاشق يعشق حبيبتين اثنتين ، هما الضفة الشرقية والضفة الغربية ، ويسير بينهما مختالاً مفتخراً ، وقد ضم هاتين الحبيبتين وأسكنهما قلبه ، ويعاملهما نفس المعاملة من الحب والتكريم ، ولا يفرّق بينهما ، وهي صورة جميلة تعكس العلاقة الوطيدة بين الضفتين ، وبين الشعبين الأردني والفلسطيني .

يختالُ بين الضفتين : مُدلّهاً

ضمّ اثنتين : بروحهِ، وبقلبهِ

لا فرق .. بين حبيبةٍ، وحبيبةٍ

سيّان مهجةُ شرقهِ ... أوغربهِ !

والضفّتان شقيقتانْ

من حوله .. تتعانقانْ [2]

ثم يحدّد مسار النهر من الشمال إلى الجنوب ، وقد توحّدت حوله الضفتان بعلاقة حميمة باقية على طول الزمن ، القدس حبيبته اليمنى ، وعمان حبيبته اليسرى .

" القدسُ يُمناهُ

عمّان يُسراهُ

يحميهما اللهُ ...

ويديمهُ لهما ...

رمزاً لحبهما... [3]

---

(١) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص١٨٥-١٨٦
(٢) المصدر نفسه : ص١٨٦
(٣) المصدر نفسه : ص١٨٦.

ثم يوجّه رسالة إلى الجنود المرابطين على الثغور ، إنَّ هذا النهر هو نهركم لا نهر أعدائكم ، ويجب أن يستردّ بضفتيه وحمايته ، فلا معنى لضفة دون ضفة .

ويا جنودنا ..

النـهرُ نـهرُكمْ

وماؤه على عدّوكمْ حرامٌ

سماؤه حرامْ

وأرضُهُ حرامَّ ...

((وضفتاه)) يا جنودنا ،

على عدوكمْ .. حرامْ .. [١]

ويصفه بأنّه مصدر المجد ومنبعه ، ورمز الوحدة والالتقاء ، وسيبقى عزيزا ما دام في العروق بقية

يا نـهر .. يا دفّاق .. بالأمجاد

يا رمز وحدة أمتي .. وبلادي

لن تُستذلّ ، وفي العروق بقيّةٌ

من عزّة الآباء .. والأجدادِ

تفديك ، يا نـهر الخلود دماؤنا

وسواعدُ الأبناء ... والأحفادِ .. [٢]

---

(١) المصدر السابق ، ١٨٨-١٨٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

الشعر الوطني

يمكن القول إنّ الشعر الوطني عند حيدر محمود هو الغرض الشعري الأكثر انتشاراً ، فهناك قصائد كثيرة تتحدث عن الوطن بجوانبه المختلفة وأبعاده المتعددة .

ومن أهم الجوانب الوطنية التي عالجها حيدر محمود في شعره الوطني ، الحديث عن الأردن بشكل عام باعتباره وطن الشاعر الذي عاش به وترعرع فيه ، والحديث عن فلسطين باعتبارها وطن الشاعر الذي ولد فيه ، ونكاد نقول أنّ حيدر محمود مازج بين هذين الوطنين إلى الدرجة التي يصعب فيها وضع حدود فاصلة بينهما ، والحديث عن عمان بشكل خاص باعتبارها مدينة الشاعر التي ترعرع فيها وأقام ، ومن ثمّ الحديث عن بعض المدن الأردنية والفلسطينية كمدينة القدس ونابلس ومأدبا والمفرق وجرش والبادية الأردنية ، ثم يعرّج على رجالات الأردن ذاكراً مناقبهم ، أو مادحاً لهم أو راثياً ومن أهمّهم الهاشميون كالشريف الحسين قائد الثورة العربية الكبرى ، والملك الحسين بن طلال رحمه الله ، والملك عبد الله الثاني ابن الحسين أطال الله في عمره ، وكذلك الحديث عن بعض المناسبات الوطنية المهمة في التاريخ الأردني كمعركة الكرامة وعيد الاستقلال .

" ويمثّل شعر حيدر محمود الوطني والقومي المتنفس الوحيد عن الهموم ، التي يحملها جرّاء ما يشهد الوطن العربي كلّه من مظاهر لا يراها الشاعر جديرة بوطنه وبشعبه وقومه ، هذا الوطن الكبير الزاخر بالخيرات والثروات والعقول النيّرة والسواعد القادرة على العمل والإبداع ، وربّما يتجاوز النقد عنده أحياناً ، بسبب حدّة مشاعره وحماسه الوطني وتمرّده على الواقع ، إلى شيء من جلد الذات ، أو ما يحمل على أنّه تجريح ، ومبعث ذلك نوع من عدم الرضا عليه ، حمله الشاعر على أنّه تضييق وإملاء على ما يقول وما يفعل ، وهذا ما ألقى في روعه أنّ ذاته مقيّدة وحريته منتهكة ، وهذا ما يقيد إبداعه كما يرى ، ما ولّد بعض الجفوة بين الشاعر والحكومة " [١]

ومن الصعب في هذه العجالة أن أقف على الشعر الوطني بمجمله ، لكنني سأحاول الوقوف على بعض المحاور التي ذكرتها آنفاً .

" ويشكل ديوان عباءات الفرح الأخضر للشاعر حيدر محمود محطةً مهمةً ومضيئةً ، في مسيرة الشعر الأردني المعاصر ، لما يحمله من اهتمامات وطنية وقومية ، ظهرت جليةً في قصائد الديوان

---

(١) لويس ، مولود مرعي : عالم حيدر محمود الشعري : خصب الإبداع وسحر الحياة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة تكريت ، ص٧٥- ٧٦ .

كلّها ، وجاءت معبرة عن صدق الموقف ، وسموّ الرسالة النبيلة التي حملها حيدر محمود في هذا الديوان ، وغيره من الدواوين الشعرية الأخرى ." [١]

ومن القصائد المعبّرة لحيدر محمود والتي تحدّث فيها الشاعر عن وطنه قصيدة " في البدء كان الوطن " التي يعتبر الوطن فيها مخلوقاً أزلياً سابقاً للمخلوقات الأخرى يقول فيها :

منذٌ كان الزمانُ ، كان لنا فيه

حضورٌ ، وكان فيه وجودُ

لم تجيءْ صدفةً إلينا الحضاراتُ

ففي هذه الـرّبوعِ : الخلودُ

من هُنا ، تطلع الشموسُ وتمضي

في مداراتها ، وبعدُ تعودُ " [٢]

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (ترويدة للوطن):

يحملك النهارُ في عينيهِ

راية انتصارْ

يحملُك الفخارْ

حكايةٌ ، على فم السنابلْ

وفي ضمائر السيوفِ ،

والجدائلْ ...

ودبكةً،

وميجنا ،

ولهفة انتظار" [٣]

---

(١) المجالي ، محمد أحمد : الشاعران حيدر محمود ونزار قباني، عمان ،أمانة عمان ، ٢٠٠٧، ص١٨١ .
(٢) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص٤٥٧
(٣) المصدر السابق ، ص١٥١-١٥٢

" ففي هذه القصيدة يتغزل الشاعر بوطنه ، فهو راية انتصار ، ويحمله الفخار حكاية على فم السنابل ، وفي ضمائر السيوف والجدائل ، فهو وطن السلم والحرب ، وطن القوة والفرح ، ووطن النهار " [١].ويعرّج على المدن الأردنية الساكنة في الذاكرة

في ((جراسيا)) لنا جدودٌ ، وفي ((البتراء))

قـــــبل الجدود ، ثم جدود

حفروا الصخر بالأظافر ، حتى

عانقتهم وعانقتُه الوُرودُ" [٢]

وكما يتحدث عن حبّه للوطن ، يتحدث عن شيم الأردنيين وكرمهم وتسامحهم .

" إنّهـــا دورةُ الظلال ، وظلّ

الأردنيين دائماً .. ممدودُ ... [٣]

والأردن بلد التسامح والإنسانية والقيم التي لا تفرّق بين إنسان وإنسان بسبب الدين أو اللون أو العرق ،

"يا بلاد الإنسان ، والقيم السمحاء

إنّ القديـــــم فيك جـــــديد

فافتحي الباب للمحبة ، كي يدخل

منهُ إلى الوجـــودُ ،الوجـــودُ

يا بلاد الإنسان ، ردّي إليـــه

قلبـــهُ ، فهو مـــثله مفقـــود [٤]

---

(١) النجار، عبد الفتاح ، حركة الشعر الحر في الأردن ، ط١ ، مطبعة البهجة إربد , ١٩٩٨، ص٦٠٨.
(٢) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص٤٥٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص٤٥٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٤٥٩ .

وفي قصيدة له بعنوان " وطني " يعبر الشاعر عن حبّه الكبير للأردن ، ويصفه بأنّه مهد الحضارات والبطولات والمعالي .

هتف الحبُ فكنتَ الُملهما

وشدا الخيرُ فكنتَ النّغما

ودعا الحقُّ : أما من رائدٍ

للبطولاتِ .. فكنتَ العلَما

والمعالي .. ما تراها عرفتْ

غير آفاقكَ دارا،وحمى

وطني .. يا ناشر النُّور، على

جبهة الأيام .. يمحو الظُّلما" (١)

ومن أجمل القصائد التي قالها حيدر محمود في الأردن قصيدة " أغنية للأرض ، ويصوّر فيها العلاقة الوطيدة بين الأردنيين ووطنهم ، ومدى تعلقهم به ، ودفاعهم عنه ، ويحشد الشاعر مجموعة كبيرة من الصور الشعرية المعبّرة في هذه القصيدة ، فأبناء الأردن قد رسموا وطنهم على شجر الدفلى وعلى قامات السنابل ، والدفلى تمثّل الجمال في نظر الشاعر، والسنابل تمثل الخير والنعمة ، ويصف هذه البلاد بأنّها بلاد الشيح ، حيث الرائحة العطرة الزاكية ، وبلد الحناء حيث الجمال والحسن ، ويدعو لها بالدوام والبقاء خيمة للعرب تظلّهم ، أمّا حبّ الأردنيين لهذه الأرض فهو كالنبات المزروع الذي لا يمكن إزالته ، لأنّه محفور بالسيف والفأس على خد النجوم .

واكتُبي أسماءنا

في دفتر الحبّ : نشامى

يعشقون الورد ، لكنْ

يعشقون ((الأرض)).. أكثرْ..!

قد رسمناك على الدفلى ،

---

(١) المصدر السابق ، ص٣١٥ .

وقامات السنابلْ ..

غابة للأعين السُّود ،

وحقلاً من جدائلْ ..

يا بلاد الشيح ،

والدّحنون ،

والحناء...

دومي ...

خيمةً للظلّ ،

والطلّ ،

وداراً.. للكرومِ..

واكُتبي بالسيفِ ،

والفأس ،

على خدّ النجومِ :

أنّ أبناءكِ مزروعونَ

في الأرضِ .. نشامى

يعشقون ((الورد)) .. لكنْ

يعشقون الأرض أكثر ..! [1]

وفي هذه القصيدة يحشد الشاعر لطائفة كبيرة من الصور الفنية الرائعة ، فالدفلى لوحة فنية يرسم عليها الشاعر وطنه ، وللسنابل قامات كقامات البشر ، والعيون السود غابة من كثرتها والجدائل كثيرة كنبات الحقل ، والنجوم لها خدّ يكتب عليه ، والأردنيون أشجار مزروعة لا يستطيع أحد قلعها .

---

(١) المصدر السابق ، ص١٧٦-١٧٧.

المدن الأردنية والفلسطينية

أمّا بالنسبة إلى المدن الأردنية والفلسطينية فيمثّلن الكثير بالنسبة للشاعر ، فنجده لا يترك مدينة إلاّ وذكرها في شعره ، فقد ذكر عمان والقدس وجرش وحيفا ونابلس والمفرق والبادية الأردنية ومأدبا وغيرها ، في تمازج واضح بين المدن الأردنية والفلسطينية التي تنتمي في نظره إلى وطن واحد ومن أكثر المدن التي نالت اهتمام الشاعر حيدر محمود مدينة عمان التي نالت القسط الأكبر من شعره ، لأنّها المدينة التي ترعرع فيها وأقام ، وقد صوّر عمان في كثير من الأحيان بأنّها معشوقة الشاعر التي لا يستطيع العيش دونها ، يقول :

لا أملكُ شيئاً فيك ،

وكلّك لي ..

من جبل ((النصر)) ،

إلى ((المرّيخ))

إلى ((عبدون))

يا .. أجملَ ((لْيلى)) في الكونِ

أنا((المجنونٌ))

المسكون بحبّك ،والمفتونْ [1]

وعمان في نظرة تمثّل الجميع ، وليست مدينة لفئة معينة ، فهي أكبر من ذلك بكثير ، وهي البدوية أصالة ، والحضرية تقدماً وازدهاراً ، وهي الختيارة تاريخاً وحضارة ، وهي الطفلة وداعة ، وهي الوردة حسناً وجمالاً ، وهي الشوكة قوة ومنعة ودفاعاً عن ذاتها .

" يا أيّتها البدويةُ ، والحضريةُ ،

و((الختيارة)) ، والطفلةُ))

والوردةُ ،والشوكةُ ،

يا وارثة حضارات الدنيا ،

يا فيلادلفيا ! [2]

---

(1) المصدر السابق ، ص٣٧٧ .
(٢) المصدر نفسه : ص٣٧٨-٣٧٩ .

وفي موضع أخر من قصيدة أخرى يعلي من شأن عمان ، ويرفع من قدرها .

تظلّين أنت الوحيدةْ

تظلّين .. أغلى قصيدة ..

لأنّي كتبت حروفكِ بالدمْ

فكنتِ الحقيقةَ .. والوهْمْ

.. وكنت ابتداء حياتي الجديدة ! [١]

" ويمثّل شعر حيدر محمود في عمان والأردن جانباً من جوانب وطنيته الصادقة ، إذ يشكّل الفضاء الذي يتجلى فيه حب الوطن والإخلاص له والدفاع عنه ، ويكاد يشكل شعره هذا نمطاً خاصاً لم يعهد على هذا النحو ، عند الآخرين الذين يتحدثون عن أوطانهم عادة عند الشعور بالغربة وعند الحنين إليها أو يستغلونها للغزل ، أمّا أن تكون خالصة لوجه الوطنية والقومية ، فهذه ظاهرة تكاد تكون حيدرية فالمتأمل في شعر حيدر محمود يلمس سيطرة الخصوصية الوطنية على قصائده ، لذلك فإنّ وطنيته تتجاوز فضاء الأنا لتحلّق في سماء الوطن ، وتعانق وجدان القارئ ، لتمنحه حالة هيام خاصة ، بعيداً عن المطامع الآنية لتعلن عن حالة عشق خاصة " [٢]

أمّا بالنسبة إلى المفرق فهي ملتقى ومجمع للعروبة ، وهي منبت للرجال الأحرار ، ويستخدم الشاعر أسلوب المفارقة في قصيدة المفرق ، فهي تسمى مفرقاً من جهة ، ولكنّه يرفض هذا الاسم ويسميها الملتقى ، لأنّها عبارة عن ملتقى للعرب من الشرق والغرب .

لا أســـمّـــيك ((مفــرقـــاً))

بل أســمـــيك : مُلتـــــقى

يا التي تجـــــمع العـــــروبة :

غـــــرباً .... ومـــــشـــــرقـــــاً

دائمـــــــا كنت للبطولة :

دربـــــاً ... ومُـــــــرتقى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٧-٣١٨ .
(٢) الويس ، مولود مرعي : عالم حيدر محمود الشعري خصب الإبداع وسحر الحياة ، ص٥٤

دائمـــــا كنت للرجـــــولة

سيـــفـــاً ..... وبيـــرقـــا ! [1]

أما جرش فهي مادة التاريخ وجوهره ، وحجارتها ما زالت شاهدةً على أصالتها وقدمها ،

حجارتُها لم تزل تنطقُ

وأرجاؤها لم تزل تعبقُ

ومن عجب :

أنّ كلّ الشموس تغيبُ

وشمس محّبتها تشرق ؟

(جراسيا)

.. ويستيقظُ الآن من نومِه

المجدُ ، والوجدُ ،

والفنُّ ، واللونُ،

والشعرُ ، والعطرُ،

والفكرُ ، والمنطقُ.. [2]

" وتمثّل جرش مرجعية حضارية وتاريخية أخرى لدى الشاعر ، فعندما يستدعيها إنّما يستدعي حضارة المكان وعراقته . وكلّ ما يشير إلى تاريخيته [3]

أمّا مأدبا فهي الملجأ الذي يلتجئ إليه الشاعر فراراً من المدينة وصخبها ، ويستعير الشاعر لفظة الدير، وهي لفظة مسيحية للدلالة على الحبّ والأمن والأمان الذي يعيشه أصحاب الدير ، ويدلل الشاعر كذلك على العلاقة الأخوية التي تربط الأردنيين مسلمين ومسيحيين .

هل فيك يا "مادبا" .. دير ألوذُ به

مما ألاقـــيـــــه، من ظلمٍ ونُكران ؟!

---

(١) محمود ، حيدر : مصدر سابق ، ص٤٦٤-٤٦٥.
(٢) المصدر نفسه ، ص٤١٧-٤١٨ .
(٣) البعول ، فاطمة : المكان في شعر حيدر محمود ، رسالة ماجستير اليرموك , ٢٠٠٦، ص٢٠ .

يا مادبا القمح والزّيتونِ ، جئت إلى

أهلي .. وقد عقّني أهلي ،وخلاّني !

يا مأدبيات ، يا أغلى البناتِ على

قلبي .. أقول على قلبي ،ووجداني

هيئّن لي ، من نبيذ الدّير ، أعتقهُ

لعلّ نيـــــرانه ، يُطفئن نيـــــراني!

ووحدها : مادبا ، بالقلب تسمعُني

ووحدها ، وحدها تصغي لألحاني! [١]

وفي البادية الأردنية يكتب أجمل ما عنده ، واصفاً إياها بأنّها مصنع الرجال ومنبت الفصحى .

هذي النجودُ... من الزنود رمالُها

والأوفياءُ الطّيبون : رجالُها

العاديات (خيولها) لم تفترقْ

عن ساحِها .. والصابراتُ (جمالُها)!

صحراءُ.. إلا أنّ سعْف نخيلها

قُضُبٌ .. يعزّ على الدخيلِ .. منالُها

وفقيرة .. لكنّ يابس شيحها

لا تشتريه الأرض .. أو أموالها!

ومن البداوة كانت الدنيا.. وفي

واحاتها الخضراء .. صيغ جمالها [٢]

---

(١) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص، ٤٤٤ــــ٤٤٧ .
(٢)المصدر السابق : ص ٣٢١ -٣٢٢ .

ويمازج الشاعر بين المدن الأردنية والفلسطينية ، فكلاهما تنتمي لوطن واحد ولشعب واحد ، فالقدس هي شقيقة عمان وأختها التي تستنجد بها دوماً وتستغيث ، يقول محرّضاً المسلمين على إعادة القدس .

أيّها المسلمون ،

اتّقوا يوم يسألكمْ

عن أعزّ مدائنه ،

وأعزّ مآذنه ،

كيف أسقطتموها بأيدي الغزاة !

واتقوا غضب الله ،

إنّ الطريق إلى الله ،

تبدأ بالقدس ،

وهي .. على بعد تكبيرةٍ ،

من هُنا ،

واشتعال شهيدٍ ، تضرّج

من أجلها ... بدماه ! (١)

وينتقل إلى حيفا مغازلاً وعاشقاً ومحباً ، فحيفا هي حبيبة الشاعر التي توقظه من نومه ، وتمسح حزنه ، وتنسيه هموم الحياة ومصاعبها ، وتجهّز له سيفاً يقاتل فيه ، وهي القمر جمالاً ، والوتر ألحاناً .

توقظني الليلة من نومي

تُلبسني كرملها سيفاً

وتعيد إلى عينيّ اللون ،

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٥-٦٦.

وتمسحُ عن عينيّ الحُزن

وتنسيني ثلج المنْفى

وأنادي : يا وجه حبيبي

يا قمراً ، يملؤني صيفاً

يا وتراً مسكوناً بالجمر ، اغمرنا عزفاً ، أو نزفاً[1]

ولا يترك مدينة نابلس دون إشادة فهي مدينة المقاومة ، فهي مدينة ممتدة وأصيلة كالشجرة الباسقة ذات الفروع الكثيرة ، وذات الجذور العميقة التي لا يستطيع أحد قلعها أو خلعها .

ها هي

((نابُلْسُ)) في ذروة الشوق

تفتحُ بوّابة المستحيلْ!

لتمرّ الفصولُ إلى فرح الأرض

ها هي ((نابُلْسُ)) ..

تزرع ((سيقانها)) ..

في سفوح((الجليلْ)) ! [2]

ويتغزّل الشاعر بالمدن الأردنية جميعها ، السلط والكرك وجلعد وعمان والرمثا وإربد في بوتقة واحدة ، ويعتبرهن بمثابة حبيبات للشاعر ، دلالة على عمق العلاقة بين الشاعر ووطنه ، كل ذلك بجمال صورة وصدق تعبير ، فكروم السلط أهداب لحبيبة الشاعر ، وجدائل أمه غابة من الكرك ، وأهداب حبيبته دالية عمانية

أهدابُ حبيبي ، كرمةُ حُبّ ((سلطيةْ))

وجديلة أمّي ، غابة شوقٍ ((كركية))

وأبي حصّادٌ من ((جلعاد))

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٥٤ .
(٢) المصدر نفسه : ص٢٠٤ .

يصحو والصبح على ((ميعاد))

أهداب حبيبي دالية ((عمآنيّةْ))

وجديلة أمّي أغنية ((رمثاوية))

وأبي فلاّحٌ من إربد

للأرض المعطاءة يُنشدْ" [١]

مدح الشخصيات الوطنية :

ولأنّ الوطن لا يعني الأرض والمكان وحده ، وإنّما رجاله وأهله ، فقد مدح ورثى حيدر محمود الشخصيات الوطنية لأنّها جزء لا يتجزأ من وطنه ، ومن هذه الشخصيات التي أسهب في الحديث عنها الشريف الحسين بن علي ، فقال مستحضراً شخصية الحسين بن علي الداعية إلى التحرر والاستقلال .

يا حبيب القدس

نادتك القباب

والمحاريب

فقد طال الغياب

إنّها قرّة عينيك

وفي زندك الوشم

وللكفّ الخضاب! [٢]

وفي ذكرى استشهاد الملك المؤسس ، يخاطب الشاعر فارساً عربياً قومياً حمل آمال الأمة وآلامها ، وضحّى بنفسه من أجلها .

ترجّلت قبل الأوان

لماذا ترجّلت

كنّا على موعد لصلاة الضحى

وانتظرناك ،

مرّ النهار الحزينُ ... بغير أذان! [٣]

---

(١) محمود ، حيدر : شجر الدفلى على النهر يغني ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، ١٩٨١
(٢) محمود ، حيدر : عباءات الفرح الأخضر ، وزارة الثقافة ، مطبعة السفير ، ص١٤٢ .
(٣) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص١٦٨.

أمّا أشعاره في الحسين فهي أكثرها وأجملها ، فهو حبيب القدس وسندها في نظره والمدافع عنها ، وصاحب الأعمار للمسجد الأقصى .

" لولاك لاستسلمت للريح رايتها

وأسلمت لجنون الموج شاطيها

لقد تقطّع قلب القدس واختنقت

روح الصفاء التي كانت تزّكيها

وأنت وحدك من يأسى لما فعلت

بها الليالي التي طالت لياليها

وعد من الله أن تلقى الخليل وذا

محرابها جاء يعطي القوس باريها " [١]

ويعطي الشاعر حيدر محمود الملك عبد الله حقّه من المدح والتمجيد ، فهو في نظره استمرار لنهج الهاشميين في التحرر والاستقلال .

"كلّ السنين بعبد الله تحتفل

فالعيد أفراحه بالعيد تتصل

كلّ السنين وسحر الأربعين على

جبينه . قبل تزهو بها القبل

لقد ورثت عن الآباء رقّتهم

وبأسهم ، فتلاقى السهل والجبل

الأردنيون حول العرش تحرسه

سيوفهم وعليه تسهر الأسل" [٢]

وليس معنى ذلك أنّ حيدر محمود ركّز على الأسرة الهاشمية الحاكمة فحسب ، وإنّما تجاوز ذلك إلى مدح الكثير من الشخصيات الوطنية التي كان لها دور كبير في نهضة هذا الوطن ورفعته ، أمثال

(١) محمود ، حيدر ، ديوان المنازلة ، مصدر سابق ، ص ٧٦- ٧٨ .
(٢) محمود ، حيدر، عباءات الفرح الأخضر ، مصدر سابق ، ص١٥-١٦.

مؤنس الرزاز وإحسان رمزي وخالد محادين وتيسير السبول ، كما تحدث عن شخصية عبده موسى وشخصية عرار التي نالت معظم اهتمام الشاعر ، ولا داعي لتكرار الكلام عنها في هذا الموقف .

الأعياد والمناسبات الوطنية

وقف الشاعر حيدر محمود على كثير من المناسبات والأعياد الوطنية ، لما تمثّله هذه المناسبات من حضور في الذاكرة الوطنية ، ومن هذه المناسبات التي وقف عليها حيدر محمود في شعره ،

- **تعريب الجيش العربي**

نالت مناسبة تعريب الجيش العربي اهتمام الشاعر لما لهذا الحدث من أهمّية كبرى للأردنيين ، فقد أصبحت قيادة الجيش منوطةً بالأردنيين ، الذين هم أحرص على هذا الجيش من غيرهم ، وفي هذه القصيدة يعلي الشاعر من منزلة الجيش العربي ، ومنزلة أفراده ويتحدّث كذلك عن معرّب الجيش الملك حسين بن طلال رحمه الله يقول :

سيّجتهُ ، بالعيون السودِ، والهدُبِ
هذا أخي في سراياهُ ... وذاك أبي
جيشٌ .من العرب الفرسان . لحمتهُ
فكيف لا أنتمي للفارس العرَبي
معرّب الجيش ... يا رُمحاً يعانقُهُ
رُمحٌ .. ويا سيّداً من سادة نُجُب (١)

- معركة الكرامة

ويتوقف الشاعر عند معركة الكرامة مفتخراً ببطولات الجيش العربي والمقاومة الفلسطينية واصفاً الأعداء بأنّهم جراد يأكل كلّ ما يجده في طريقه ،

هُنا ... كانوا
جراداً يأكل الأزهار
والأطيار،
والنخلا...
ويتركها : الضفاف الخُضر،
لا قمحٌ ... ولا دفلى ! (٢)

---

(١) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص٣٤٠-٣٤١.
(٢) المصدر نفسه ، ص١٧١.

ويصف شجاعة الجنود الأردنيين واستبسالهم

... ولأنّ الدمّ لا يصبح ماء

صار لون الشجر الميت

أحمر...

والثرى الطاهر... نور

وإذا النهر... جماجم

وإذا الأهداب تمتدّ سلالمْ

لنعد بها إلى النصر:

أباةٌ ، كرماء (١)

والموت عند هؤلاء بعزّة خير من العيش بذلّة ، لذا سيقاتلون من أجل الكرامة والعزة .

" ولأنّ الموت في شرعتنا ،

أهون من ذلّ الهزيمة

هبّت النّيران ...

والبارود غنّى ...

فالفضاء الرّحبُ عطرٌ..

والثرى الطاهر .. ((حنّا))(٢)

وفي هذا المقطع ينجح الشاعر في تصوير المعركة ، فالبارود يغني طرباً وزهواً ، وتراب هذه الأرض حنّا من طهره ، والفضاء الرحب عطر .

وهناك الكثير من الأعياد والمناسبات الوطنية التي أعطاها الشاعر حقّها من التكريم كمناسبات أعياد الميلاد للهاشميين وذكريات وفاتهم .

الوحدة العربية والإسلامية والواقع المعاصر :

نال موضوع الوحدة العربية والإسلامية حيّزاً كبيراً في شعر حيدر محمود ، وكان السبب في ذلك اعتقاده أنّ الوحدة العربية والإسلامية ، وتكاتف العرب والمسلمين ، ووقوفهم إلى جنب قضيتهم الأولى كفيل بحلّ هذه القضية واسترداد الأرض والإنسان ، وأنّ التحديات التي تواجهها الأمّة العربية والإسلامية ، ما هي إلاّ تحديات خلقتها الفرقة بين الأقطار العربية والإسلامية ، وهي انعكاس لعدم الوحدة وكثيراً ما كان الشاعر يصوّر الواقع العربي المعاصر بكثير من الحزن والأسى ، على هذا

---

(١) المصدر السابق ،ص١٧٣-١٧٤.
(٢) المصدر نفسه ، ص١٧٤.

الواقع الذي يجمع التناقضات ، فنحن من جهة كثيرون ، وأوطاننا ممتدة وواسعة ، ولكنّ كرامتنا مهدورة ، وأرضنا مسلوبة ، ويتحكم العدو بمصائرنا .

وكثيراً ما كان الشاعر يتّكئ على التراث العربي والإسلامي ، من خلال استدعاء الأحاديث النبوية التي تصف واقعنا المعاصر ،وكثيراً ما كان الشاعر كذلك يستدعي الشخصيات الإسلامية ذات الأثر الفعّال في تاريخ هذه الأمة ، ومحاربة أعدائها وتوحيدها كصلاح الدين الأيوبي ومن القصائد التي تصور الواقع العربي قصيدة " الطريق إلى القدس " يقول مصوّراً اختزال الإسلام إلى مجرّد طقوس نقوم بها دون وعي ، لأنّ هذه الطقوس ما عادت تثير فينا الحميّة ، ولا تحرّضنا على محاربة المحتل ، فنحن في حالة انفصام داخلي ، تعاني منه الشخصية المسلمة .

مسلمون .. نعمْ

وشهادة ألّا إله سوى الله ،

ينطقُها كلّ فمْ..

ونقيم شعائره كلّها ...

ونطيعُ أوامرهُ... كلّها...

غير أنّا،

ونحن نطأطئ هاماتنا للغزاه

قد فقدنا رضاه ! [1]

ويستخدم الشاعر أسلوب المفارقة في هذا المقطع ، فالمسلمون كثيرون من جهة ، وأوطانهم كثيرة يصعب حصرها ، وفي المقابل نحن عاجزون ومتفرقون لا نستطيع أن نرجع شبراً من أرض ، أو مثقالاً من كرامة ، ونحن مختلفون على أشياء لا تستدعي الاختلاف ، ولا يختلف البشر عليها كلون العينين ، وهي الدرجة التي وصل إليها اختلاف العرب .

"مسلمون... نعم

وملايينا ... لا تُعدّ ،

---

(١) المصدر السابق ، ص٦١ .

وأوطاننا ملء عين المدى

لا تحدّ ...

ولكنّنا ... عاجزونَ،

ومستضعفون،

ومختلفون على لون أعْيُننا

والسّكاكين ممعنة في البدنْ! (١)

وبسبب فرقتنا وخلافنا تضيع أوطاننا وطناً بعد وطن ، وتتقلص مساحة أرضنا ومساحة كرامتنا كذلك .

" كلّ يوم يضيع

من المسلمين وطن

كلّ يوم

تضيق المسافة

بين المحيط وبين المحيط" (٢)

ويعرِّض الشاعر بمسلمي هذا العصر ، إذ ليس لهم من الإسلام إلّا ما كان مثبتاً في شهادات الميلاد ، وجميع تصرفاتهم لا توحي بأنّهم مسلمون . وكثيراً ما يفتخرون بأموالهم الكثيرة ، وبأولادهم الكثر ، والأعداء يحاصرونهم ويقتلونهم .

مسلمون .... نعمْ !

في شهادات ميلادكمْ

قاعدون على

صدر أمجادكمْ ...

---

(١) المصدر السابق ، ص٦١
(٢) المصدر نفسه : ص٦٢

معجبون بوفرة أموالكمْ

وبكثرة أولادكمْ....

والسكاكين تذبحكمْ

بلداً ،

بلداً ،

وتقطعكم كبداً ،كبدا" [١]

وينصحهم بدفع ضريبة التحرر والعزة والكرامة ، إذ لا مناص من دفعها .

" وتقولون لا بدَ أن يظهر الحقُّ

كيف سيظهرُ،

إن لم تؤدّوا الثّمنْ؟! [٢]

ويوضح أنّ القدس ليست بعيدة من هنا ، أصوات مآذنها يسمعها الجميع ، وكأنّها تنادي عليهم .

....والطريق إلى الله،

تبدأ بالقدس [٣]

إشارة إلى رحلة المعراج التي كانت بدايتها من القدس حيث عرج الرسول محمد عليه السلام إلى السماء ،

"وهي على بعد تكبيرة من هنا

واشتعال صلاة ! [٤]

---

(١) المصدر السابق ،ص٦٣.
(٢) المصدر نفسه .٦٤
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٤

وفي قصيدة أخرى بعنوان "اعتذار للأقصى " يعيد الشاعر ويكرر فكرة أنّ العرب كثيرون ولكنّهم غثاء كغثاء السيل أو الزبد الذي لا فائدة منه ، وكالإسفنج الذي يبدو كبيراً ثم سرعان ما يتقلص حجمه إذا ما تعرض للضغط .

ستكونون كثيرين ،

كثيرين ، كثيرين ..

ولكنْ ... لا أحد

وستمتدون (مثل الموج)

في كل بلدْ ...

ثمّ... ترتدّون (كالإسفنج)

لا يبقى لكم زرعٌ ،

ولا يبقى لكم ضرعٌ ،

ولا يبقى ... ولدْ !! [1]

ويطلب الشاعر من الأقصى عدم تصديق مقولات التحرير ، لأنّها مجرّد أقوال لا طائل من ورائها .

لا تُصدقنا

إذا قلنا ، سنأتيك ، لنفديك

فلن يأتي ... أحدْ [2]

ثم يشير الشاعر إلى حديث النبي الذي يصف ما سيكون عليه حال المسلمين ، وهو أنّهم كثيرون ، ولكنّهم كغثاء السيل لا فائدة منه .

لا يغرنّك العددْ

فهو يا (أقصى)

---

(١) المصدر السابق ، ص١٠١-١٠٢.
(٢) المصدر نفسه : ص١٠٢.

غثاء كغثاء السيل ،

لا وزن له ،

وهو زبد!!! [1]

ثم يكرّر ما قاله سابقاً من أنّ فلسطين ، ما هي إلا سلعة للمتاجرة ، يتاجر فيها العرب والمسلمون ، ويعتاشون عليها .

" نحن يا أقصى

كثيرون كما الهمَّ

ولكنّ الدّكاكين كثيرة ...

والسكاكين التي تلمعُ في الأيدي

كبيرةٌ ! [2]

" وفي قصيدة لست من مازن يدخل النص منذ العنوان في تناص مع عنوان قصيدة " لو كنت من مازن " لشاعر مجهول ، وقيل اسمه قريط بن أنيف ، ناقم على قومه لأنّهم توانوا عن نجدته . إنّه يصبّ سخطه على التخاذل والضعف حيث تهدر الكرامة ويضيع الحق . ومطلعها :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وتفتتح قصيدة حيدر محمود بتصعيد الفاجع /الانكسار /الغربة :

جسدي واحد والسكاكين مختلفة

وأنا لست من مازن فاستبيحوا

الذي تستبيحونه على مهل

وانثروني على الأرصفة

وبنو مازن في قصيدة الشاعر الجاهلي " لا يسألون أخاهم حين يندبهم / في النائبات على ما قال برهانا ". أمّا عند حيدر محمود فإنّ الصعاليك الفرسان استسلموا للقبائل .

---

(١) المصدر السابق ،ص ١٠٢-١٠٣.
(٢) المصدر نفسه : ص١٠٤-١٠٥.

واختلفوا أيّ قافية يمتطون إلى صاحب الأمر

والخيل هاجعة أو مضاجعة والمروءات مستنكفة" [1]

وكثيراً ما كان الشاعر يتحدث عن" الأثر الإيجابي لهذا المطلب السامي المتمثل في تحقيق العزة والكرامة والمنعة لهذه الأمة ، ونبّه للدور الخطير الذي يقوم به أعداء الأمّة من إجهاضها وتمزيقها ، ودعا إلى بناء خيوطها المتينة بكل قوة وإباء ودون توان وكسل .

يقول حيدر في التغنّي بوحدة الأمّة :

مرحى لوحدتنا الكبرى وا ويها

وبارك الله مسعى من سيحييها

يا قادمين بها من ليل غربتها

سفينة العشق ها ألقت رواسيها

يا ما انتظرنا على الشطآن طلّتها

وحين توشك كان الموج يطويها

كأنّ عيناً أصابتها فأغضبت الريح

التي في بحار الشوق تجريها

ويقول منبّهاً لدور الأعداء في تفتيت هذه الوحدة :

" الله كم ضربت في الظهر وحدتنا

من كارهيها وحتّى من محبيّها " [2]

" وفي قصيدة (الشاهد الأخير) تجريح قاس لما آلت إليه الأمة العربية ، وعرض شعري محمّل بالأسى لأوضاعها ، مع مقارنة لحالها الراهن بماضيها العتيد ، ويكفي للدلالة على ما في مضمونها من جلد للذات أن نقرأ أبياتاً من هذا المقطع منها ، فهو بالغ الدلالة على ما وصل إليه الأمر من سوء الحال

على من تنادي

موسم النخوة انتهى

---

(١) المصلح ، أحمد : الشعر الحديث في الأردن ، وزارة الثقافة ، عمان ط١ ، ٢٠٠٤، ص ٢٧٧.
(٢) المجالي ، محمد : الشاعران حيدر محمود ونزار قباني ، ص ٩١-٩٢.

وسوق عكاظ بالبضاعة كاسد

فلا قول إلا قول رابين

داوياً

ولا فعل إلا فعله يتصاعد

وإنّا إليه راجعون

وكلّنا

أمام مداه الذابحات

طرائد " [1]

المسألة العراقية

نالت المسألة العراقية باعتبارها شأنا عربياً قومياً اهتمام الشاعر حيدر محمود ، لذا نجده يكتب مجموعة شعرية كاملة عن حرب الخليج أسماها مجموعة المنازلة ، ويشير إلى التحالف الغربي الموجّه ضد العراق وأهله ، فنجده أحياناً يدعو بالنصر للعراق كما في قصيدة "دعاء المنازلة " التي يقول فيها

يا ربّ

كن مع العراق

يا رب نصرك الذي وعدت أهله

ونخله

وخيله العتاق

واجعل قذائف العدى

على زهوره ندى

وردّها إلى نحورهم

ودورهم ردى

يفتك بالذين جاءوا

يفتكون بالعرب

ليطفئوا فيهم

شرارة الغضب " [2]

---

(١) ربيع ، إيمان : ثنائية الأرض والإنسان في شعر حيدر محمود ، ص٤٦-٤٧ .

(٢) محمود ، حيدر : المنازلة ، دار الكرمل ، عمان ، ١٩٩١، ص٨٢-٨٣.

وفي هذه القصيدة نجد الشاعر كما هو حال الأردنيين جميعهم يعبّرون عن وقوفهم إلى جانب العراق وشعبه بالدعاء والاستعانة بالله في هذا الموقف المأزوم .

وفي قصيدة أخرى يشير الشاعر إلى الوجود الغربي في الجزيرة العربية ، الذي هو بمثابة احتلال لديار العرب وسلب لكرامتهم وعزّتهم ، ويستعير شخصية عروة بن الورد مع ما تمثله من عزّة وجرأة ولكنه يستكين ولا يقاوم ، دلالة على الحال المأساوية التي وصل إليها العرب .

الشعراء الذاهبون قبلنا

لم يروا (الكاوبوي)

في الجزيرة السعيدة

يغتصب السيدة القصيدة

على فراش (عروة بن الورد)

وهو غارق في نومه

يحلم أن ينشرها

في الصفحة الأولى

من الجريدة

الشعراء الذاهبون قبلنا

لم يروا (الكاوبوي)

وهو يصفع (البراق) بالنعال

ويستبيح نخله

وخيله

وماله الحلال

ولا يثور السعف

أو ينتفض السيف الذي

كنّا نظنّه لساعة النزال

(وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم

ولكنني في ذا الزمان مسالم)

الشعراء الذاهبون قبلنا

(ارتاحوا من الشعر الحماسي

الذي كان يثير نخوة الفرسان

ويستفزّ الغضب المزروع

في ذاكرة الكثبان

فلم يعد في هذه الصحراء

صحراء

ولا الذين فوقها فرسان" [1]

فالشاعر في هذه القصيدة يشير إلى الوجود الغربي في الجزيرة العربية ، ويكنّي عنه بالكاوبوي وهذا الوجود يقتل الشعر القومي ، ويقتل موجباته التي ينطلق منها ، وهذا الاحتلال يقتل القصيدة ذاتها ويرتكز الشاعر على شخصية عروة بن الورد وهو شاعر عربي صعلوك كان يمثّل الإرادة الحية عند العرب ، لكنّه في هذا الموقف مستسلم للواقع لا يأبه بالاحتلال وإنّما يسايره .

والكاوبوي وهو رمز غربي يمثل في ذاكرة العرب العنجهية والقتل والهمجية ، يستبيح أغلى ما عند العرب ، الخيل والنخل فالخيل تمثل عزة العرب وكرامتهم ، والنخل يمثل ثروات العرب وأموالهم المنهوبة .

وهكذا نجد أن الشاعر حيدر محمود قد عرَج على جميع القضايا السياسية التي تهم العرب وتهم مستقبلهم بشيء من التفصيل .

---

(١) محمود، حيدر: المنازلة ، ص٥٨- ٦٣ .

استدعاء التراث العربي والإسلامي لخدمة قضية حيدر محمود الشعرية

وردت كلمة التراث في لسان العرب ، فقد ورد فيه :ورث الشيء يرثه ورثاً وورثة ووراثة وإراثة [١]

أما التراث بمعناه الاصطلاحي فهو " تراكم الخبرات والعادات والتقاليد والفنون والعلوم لشعب من الشعوب خلال فترة من الأزمنة ، ويعد جزءاً أساسياً من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي يوثّق علاقته بالأجيال السابقة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه " [٢]

ويمكن القول أنّ التراث هو المخزون الذي حققته البشرية ، على مدى تاريخها الطويل ، ويشمل الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

"ويتّصل الموروث التاريخي بالأحداث التاريخية والشخصيات التي لها صفة الديمومة والبقاء في تشكيل الدلالات العصرية ، فهي تصلح لأن تتكرّر من خلال مواقف جديدة وأحداث جديدة ، يمتح الشاعر منها ، ليضفي على تجربته الشعرية الجديدة طابع الشمول والعراقة " [٣]

استدعاء الشخصيات التاريخية ذات البعد السياسي

" إنّ الشاعر المعاصر حاول جاهداً أن يزاوج بين الواقع والتراث ، باعتبار أنّ التراث جزء من الواقع ، هذا الجزء الذي يمثل خلاصة الماضي وروحه ، وهو ما يشكل عنصر الاستمرار والتجدد في آن واحد ، إذ إنّ الواقع في حد ذاته ثمرة يسهم الماضي في تكوينها وإنضاجها ، والقصيدة – أيّة قصيدة – جديرة بشعريتها –لا بدّ أن تقع تحت تأثير كل من الواقع المرحلي الذي يعيش في رحابه الشاعر منشغلاً بقضاياه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، فبمقدار وعي الشاعر بمكونات الواقع تكون قدرته على التأثير والتغيير فاعلة ومؤثّرة ، كما لا بدّ أن تقع القصيدة كذلك تحت تأثير التراث الثقافي الذي لا يمكن تجاهله في الإنتاج الشعري لشاعر يحترم أمّته وإنسانيته ، وهذا يعني أنّ المضمون التراثي ليس أسير تراث الأمّة التي ينتمي إليها الشاعر ، بل يتعداها إلى إطار أوسع وأشمل هو إطار التراث الإنساني ". [٤]

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ،١٩٥٦م،مادة ورث.
(٢) عبد النور ، جبور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٦٣.
(٣) النصار ، فايز : الرموز التراثية في شعر حيدر محمود ، رسالة ماجستير، اليرموك ١٩٨٥ص٢٣).
(٤) وادي، طه : جماليات القصيدة المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ص٨.

والتراث المقصود هنا " هو الذي يمثل كل ما هو مشرق وإيجابي في مواريث الإنسانية جمعاء ، وتجربة الفنان حين تضمّ هذه المواريث في وحدة تشكيلية رحيبة خلّاقة، توحي بوحدة تاريخ الإنسان الذي يتطلع دوماً إلى العدالة الاجتماعية والحرية السياسية والوحدة الإنسانية ".[1]

استدعاء الشخصية العربية الغاضبة والثائرة (تأبّط شراً نموذجاً)

لجأ الشاعر إلى استدعاء العديد من الشخصيات العربية والإسلامية ، التي كان لها دور في تاريخ هذه الأمّة ، وكان الغرض من هذا الاستدعاء أن يلمّح الشاعر إلى أنّ هذا الواقع الذي يعيشه المواطن العربي هو واقع فقير بأشخاصه وقياداته الأمر الذي يجبر الشاعر على استعارة شخصيات الماضي ورموزه ، وهم وإن كانوا أمواتاً إلا أنّهم أفضل وأشجع من الشخصيات التي تعيش في واقعنا ، ولا تستطيع أن تغيّر فيه ، أو تسهم فيه ، وإنّما هي شخصيات محايدة ومن هذه الشخصيات التي استدعاها حيدر محمود واختارها بدقة ، شخصية الشاعر العربي الجاهلي ثابت بن جابر الفهمي الملقّب تأبّط شرّاً وهو شاعر جاهلي صعلوك ، ولقّب بهذا اللقب عندما سئلت أمّه عن مكانه فأجابت لقد تأبّط شراً وذهب كناية عن نيّته فعل الشرّ ، والشرّ هنا في نظر حيدر محمود كلمة إيجابية تعني القدرة على الفعل والتغيير والانطلاق من حد الصمت إلى حد الفعل ، يقول في قصيدته تأبّط شرّاً:

أنّ حال الأمّة من سيء إلى أسوأ، ومن احتلال إلى احتلال ، ومن سقوط إلى سقوط .

خوفي...

ليس على أوطانٍ ضاعت

لكنّ الخوف

على وطن آخر،

سوف يضيع،

وشعب آخر ،

سوف يبيعُ:

العلكة ،

والكولا ،

ومجلات العرب ،

الصادرة بأوروبا ...

---

(١) وادي، طه : جماليات القصيدة المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٧١.

للمصطافين الجدد ،

وللمسؤولين المعزولين،

وللحزبيين المختلفين على

أسماء هزائمنا ....

(النكبة ،

والنكسة ،

والكبوة ..)

...وإلى آخر ما في القاموس

العربيّ من الأسماء... [1]

ويعيب الشاعر على العرب انشغالهم بالتوالد والتكاثر، وعدم التفرقة بين الذكورة والرجولة والتركيز على الأغلبية الكثيرة غير الواعية ، التي لا تسهم في بناء الأمّة ، ولا تدافع عنها ، وإنّما هي عالة عليها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

خوفي :

من مذبحة أخرى

للنُّطف المتبقّية ،

لهذي الأمّة ..

في الأصلاب !

..ومن عجب ...أنّا

والسكّين على العنُق

نمارسُ((فعل الإنجاب!))

كأنّ فحولتنا العربيّة،

..موضع شكّ ..

من قبل الإمبريالية،

والصهيونية ،

وبقيّة ما في هذا العالم

من أعداء..! [2]

---

(١) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص٤٤-٤٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص٤٥-٤٦.

ويحثّ الشاعر العرب على إنجاب أطفال أبطال شجعان يعيدون للأمة هيبتها ، ويعرّض الشاعر هنا بالآباء والأمهات الذين يتركون أبنائهم للمربيات الأجنبيات ، ومن ثم يريدون نشئاً صالحاً .

لكن خلونا ننجب أطفالاً

يستعصون على الذبح

فلا نسقيهم مثلاً

لبن السريلانكيات

ولا نطعمهم خبز القمح الأمريكي

ولا نلبسهم إلا ما تنسجه

الأنوال الوطنية

مهما كان رديئاً " [١]

ويأتي إلى الموضوع الرئيس وإلى سبب اختيار شخصية تأبّط شرّاً بالذات ، وهو أنّ الشاعر يريد أطفالاً مثله يغضبون إذا جرحت كرامتهم ، أو احتلّت أرضهم ، ننمي فيهم حس الصعلكة والغضب والثورة ، لعلّ الأمّة تنجب شخصاً كتأبّط شرّاً .

ونعلّمهم شعر ((تأبّط شرّاً))

وننمّي فيهم حسّ الصعلكة

المتمرّدة على الأشياء

فعسى أن يتأبّط ..

ولد عربيٌ .. ما

في بلد عربيٌ ... ما

في زمن عربيٌ ... ما

((شرّا))

ويغيّر وجه الصحراء!! [٢]

ويريد من هذا الصعلوك أن يكون حرّاً عنيداً جامحاً عنيفاً صلفاً مجنوناً وحاقداً ، حرّاً كالريح يمتلك الإرادة للفعل ، وعنيداً كالمهر الجامح يتحدّى المحتل ، ومجنوناً لا يأبه لأقوال المرجفين ، وحاقداً لا ينسى الإساءة ، وعنيفاً لا يستسلم لمقولا ت السلم .

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

ليكن هذا الصعلوك

عنيداً ... كالمهر الجامح

حرّاً ... كالرّيح،

عنيفاً

صلفاً

مجنوناً

مسكوناً بالحقد

على السفّاحين،

وأبناء السفّاحين،

وجيران السفّاحين،

وأعوان السفاحين " [1]

ويمثّل هذا الشخص الذي يحاكي تأبّط شرّاً المهدي المنتظر الذي مازال العرب ينتظرونه ، ليفكّ أسرهم ، ويعيد وحدتهم .

ليكنْ...

هذا المهديُّ المنتظرُ

الطعنة في حلق العالم ،

واللعنة ..

في كلّ جبين!

فلقد أشقانا هذا العالم

أشقانا جداً..

وسقانا المرّ

قروناً

بعد قرون ،

بعد قرون! [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٨-٤٩ .

ويصوّر الشاعر نشأة إسرائيل وكيف كان لنا نحن الفضل في نشأتها ، وأننا من ساعد على إقامتها بتخلفنا وتفرقنا وعدم اتّحادنا .

والحق علينا

فقد جاء إلينا

والدنيا غارقة في العتمة ،

طفلاً منبوذاً،

مكسور الخاطر،

لا يعرف من أين أتى...

فتبنيناهُ

وربّيناه على العزّ ،

وعلّمناه المشي ،

وعلّمناه الرمي ،

وعلّمناه ركوب الخيل ،

وعلّمناه الشعر،

وعلّمناه السحر،

وعلّمناه الفقه [١]

والنتيجة من هذا كلّه أن ارتدّ علينا حرباً ونقمةً وعاراً

لكنْ....

حين اشتدّ الساعد

كانت أول ضربة سيف

في رأس أبينا الطيب

قحطان" [٢]

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٩-٥٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص٥٠ .

استدعاء الشخصيات الإسلامية " صلاح الدين نموذجاً "

إذا كانت شخصية تأبّط شراً ترمز إلى العربي الذي يغضب ويثور ويرفض الذل ، فإنّ استدعاء شخصية صلاح الدين الأيوبي تمّ لغرضين أساسيين ، الأول : أنّ هذه الشخصية تمثل شخصية الموحّد الذي قام بتوحيد الأقطار العربية ، التي هي - أي الوحدة - سبيل التحرير ذاته ، والثاني : أنّ هذه الشخصية تمثل شخصية المحرّر الذي يقوم بتحرير البلاد العربية من الاحتلال الصليبي ، وظلّ الشاعر يمازج بين هذين الدورين لصلاح الدين في كتاباته .

" وكانت حصة صلاح الدين الأيّوبي من هذا الاهتمام كبيرة وظاهرة ، على الرغم من ذكره لخالد بن الوليد وجعفر الطيار والمعتصم بطل عمورية ، ولعلّ إيثاره لصلاح الدين نابع من كونه محرّر القدس ، التي يعدّ احتلالها اليوم محور قضيّة العرب المركزية ، التي يرى الشاعر فيها نكبة كبرى ينبغي أن يتداعى العرب لتلافيها " [1]

ومن قصائده التي اعتبرها رسالة موجهة إلى صلاح الدّين نفسه .

لقد رجع الصليبيون

ثانية

إلى حطين..

فعجّل يا صلاح الدين ،

عجّل كي تخلّص،

وجهها العربيّ،

من نار الصّليبيّينْ!

فإنّك تعرف الحقد الذي

حملوه في الأعماق ،

منذ قرون

وإنّك تعرف الثأر الذي

سيكون! [2]

---

(١) ربيع ، إيمان : ثنائية الأرض والإنسان ، مرجع سابق ، ٢٠١١ .
(٢) محمود ، حيدر , الأعمال الشعرية ، ص٥٤-٥٥ .

ويحوّل الشاعر قضيّة فلسطين التي هي قضية المسلمين كلّهم إلى قضية شخصية بالنسبة إلى صلاح الدين .

سيقتلعون عينيها ...

لأنّك نمت تحت عريشة

الأهداب ..

وينتزعون

من بستان خدّيها

زهوراً كنت تعشقها

وتهديها إلى الأحباب !

وسوف تجزّ بالسكّين،

كلّ جدائل الزيتونْ

لأنّك .....كنت

من خصلاتها الخضراء ،

تجدل راية الأقصى..

وتغزل ثوبه الزاهي

ليوم العودة الميمون.! (١)

ويحوّل الشاعر صلاح الّين إلى شخصية قريبة منه ، يتحدث إليه ، ويسرّ إليه كلماته ، ويخاطبه عن قرب ، وكأنّ هذه الرسالة حتماً سوف تصل أو يجب أن تصل لصلاح الدين .

أتذكر

كيف كانت فرحة الأقصى

بلقيا جيشك الظافر ؟!

أتذكر ؟!

يوم صلّيت الضحى..

ولثمت خدّ جبينك الطاهر ؟!

وأقسمت السيوف له ،

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٥-٥٦ .

به .. ألّا تدنسه،

يدا ..غادر ..

وأن تبقى ،بيارقه ..

على الآفاق مرفوعة

ولو متنا جميعاً ، دونه،

وتظلّ كلمة لا إله سواك ،

يا اللهُ...

مسموعة [1]

ويخاطب صلاح الدين بأنّ جيوشه وخيوله ما زالت مستعّدة في عجلون والكرك لإعادة الأقصى وتحريره .

وها هي ذي خيولك

يا صلاح الدّين ،

في عجلون ،والكرك..

تحمحمُ .. للجهاد ...

فيا أمير الرّكب ،

خضه خير مُعتركٍ..

وخلّصْ من أظافرهمْ

ومن أنيابهمْ..

(حطّين!)

لتبدأ من هناك، خطاكْ

إلى القدس التي تشتاقُ

أن ... تلقاك...

وتبكي .. كلّما مرّت

على بال الرُّبى ،

ذكراك .. [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٥٦-٥٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٥٧-٥٨ .

ويعود الشاعر إلى شخصية صلاح الدين الموحّدة هذه المرّة ، ويركّز عليها كما ركّز على شخصية صلاح الدين المحرّرة .

" لقد عادوا

فهل ستعود يوماً ما

إلينا ... جذوة الثورة !؟

ونرجع أمّةً حرّة ؟!

موحّدة الخطى ،والعزم، والفكرة ...

موحّدةً ... ولو مرّة

مُصممةً ... ولو مرّة

على أن تطرد الدخلاء
من أعماقها
وتزيل من أحداقها الغازين ؟!
ستبعث عندها حطّين
ويصبح كل نشمي
صلاح الدّين... [1]

(١) المصدر السابق ، ص٥٩-٦٠ .

استدعاء الشخصية الإسلامية الصابرة والمتحمّلة " سيدنا أيّوب نموذجاً "

سار الشاعر حيدر محمود على نهج كثير من الشعراء الذين وظّفوا شخصية سيدنا أيّوب عليه السلام ، مثل الشاعر العراقي بدر شاكر السياب لما تمثله هذه الشخصية من سمات ، أهمّها الصبر والجلد وقوة التحمل ، وقد اسقط الشاعر شخصية سيدنا أيّوب على الشعب الفلسطيني ، الذي تحمّل ما تحمّل من آلام ومصائب ، وقد تخلّى عنه أقرب الناس إليه من العرب .

" وفي القصيدة التالية يتجلى أيّوب محمّلاً بدلالة الصبر التراثية الإسلامية ، ويحلّ في الإنسان الفلسطيني الرمز . فتبدأ القصة بالسؤال : هل تعرفون الفتى أيّوب ؟ ثم تأتي الاستجابة السريعة : إنّه عرس الحساسين وعبق الرياحين ، جبينه رحب ، وساعده صخر وعيناه عينا نبي ، إنّه الأغنية التي تشدو بها شفاه الحيارى والمساكين . وتتوالى الإجابات على الاستفهام الطلبيّ فهو نجمة الصبح للمتطهرين من أثقال الطين والهوان الذي لحق بالنفس أزماناً ". [١]

هل تعرفون الفتى أيّوب؟

كان له

فينا إذا مرَّ

عرس للحساسين

وكان أجمل من فينا

وما حملت ... أمي بأعبق منهُ ،

في الريّاحين ...

عيناه عينا نبيٍّ ،

والجبين مدى... رحْبٌ

وساعده صخر البراكين..

إذا لفى

قالت الدنيا:

(الأبيّ لفى ..)

وطأطأت هامها كلّ الميادين! [٢]

---

(١) المصلح ، أحمد : الشعر الحديث في الأردن ، مرجع سابق ، ص٢٧٣-٢٧٤ .
(٢) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص٦٧-٦٨ .

ويصوّر الشاعر العلاقة بين أيّوب وأخوته القائمة على العداوة من جانبهم والمطاردة من قبلهم ،

لكنّ أيّوب ...

مطلوب لإخوته ...

من بعد أن دوّخوا

نقع الميادين...

شدّوا أعنّة دبّاباتهم،

ومشوا،

(على مواجعه)

مشي الشياطين !

وقطّعوا كبداً(ما كان يسكنها

إلاّ هواهم ..)

فسحقاً للمجانين!

وضيَعوه ..

ولو يدرون أيّ فتى ،

قد ضيّعوا ..

لافتدوه ... بالملايين!! (١)

وأيّوب منفيّ خارج وطنه ، مسجون فيه ، فهو في حال بين السجن والمنفى ، وإن أفلت منه سهم الأعداء ناله سهم الأقارب .

كلّ المنافي عليه ،

فهي تُسلمهُ

منها ،إليها ،سجيناً، غير مسجون!

إن أفلت الصدرُ،

من سهم العدى.. فلهُ

في الظهر ،من أهله ،

مليون سكّين! (٢)

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٩-٧٠ .
(٢) المصدر نفسه : ص٧٠ .

ويوضح الشاعر الفائدة والغرض الذي يجنيه العرب وقادتهم من بقاء فلسطين محتلّة ، فهم يعيشون على هذه القضية ، كما يعيش المتطفّل على غيره ، ورغبتهم بالنسبة لقضيّة فلسطين أن تبقى حيّة لكن دون حياة ، وأن تبقى ميّتة لكن دون دفن ، فبهذه الصيغة وحدها ينالون كلّ ما يريدونه

لقد أرادوه حياً،

لا حياة به...

وقد أرادوه ميتاً،

غير مدفون ... (١)

والغرض من هذا كلّه واضح وجليّ وهو التكسّب من هذه القضيّة ،

حتّى تظلّ الدكاكين التي انفتحتْ

على عذاباته :

ذات الدكاكين!!

كأنّه لم يكن يوماً ،

أخا أحد ... منهم !!

ولا جاء من ذات الشرايينِ (٢)

ويبين الشاعر اختلاط المفاهيم في ذهنه ، نتيجة لتحكم السوق بمشاعر الناس ، فلا أحد يدوم على محبة ، ولا على عداوة كذلك ، فالنفاق الاجتماعي وسيطرة الرأسمالية على عقول الأفراد وقلوبهم ، والشاعر ما عاد يميز الصديق من العدو ، ولا القريب من البعيد ، نتيجة للنفاق السائد والتملق الشائع .

أحاول الفهم :

هذا السوق أتعبني...

وحيّرتني اضطرابات الموازين !

هل صاحبي ...صاحبي؟!

---

(١) المصدر السابق ، ص٧٠-٧١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٧١ .

(من ذا يجاوبني ..)

وهل عدوّي... عدوّي؟!

(من سيفتيني !)

وكيف أعرف: سكيناً ستذبحُني

وكيف أعرف سكيناً ..

ستحميني؟! [1]

وكأنّه يعود مرّةً أخرى إلى شخصية تأبّط شراً الثائرة ، التي لا تقبل الضيم والسكون .

إنّي لأعلنُ: أنّ الأرض عاقلة

وليس ينقذها ...

غير المجانين ...!

فيا بحار دمائي،

اغرقي سفُنُي

وأحرقي الأرض ، يا نار الشرايين ...

ويا أظافر صبري ،

مزّقي جسدي..

ويا ملائكتي ... كوني شياطيني! [2]

وفي قصيدة أخرى بعنوان " أيّوب يخرج من صبره " يغيّر الشاعر من أسلوبه هنا فأيّوب نال ما تمنى أن يناله نتيجة صبره وجلده .

حجرٌ..

ويكتمل البناءُ

وينتهي أيّوب

من ثلج المنافي ..

حجرٌ

وتطلع شمس أيّوب

التي سرقت جدائلها ...الفيافي

---

(١) المصدر السابق ، ص٧١-٧٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٨٥ .

ويعود للعينين لونهما

وتصحو النار

في جمر الفيافي ... [1]

ويفرّق الشاعر بين الصبر من جهة والضعف والجبن من جهة أخرى ، فأيّوب الفلسطيني لم يكن ضعيفاً يوماً ولا عاجزاً ، وإنّما صابر ، والصبر مفتاح الفوز والنجاح ، والصبر هو تحمّل الأذى والضرر الذي ينتج عن المقاومة .

أيّوبُ لم يصبر

كما يتوهّم الحكماءُ

عن جبنٍ..

ولكنّ السّوافي ،

أسلمته إلى السّوافي ! [2]

والدنيا كلّها كانت على أيوب : الأباعد والأقارب ، تأتيه سهام الموت من الأمام والخلف ولكنّه ظلّ مواصلاً لطريقه دون يأس أو ملل.

في ظهره مليون سكّينٍ ،

وفي رئتيه ،

آبار من السمّ الزّعاف

ويداه موثقتان ...

والقدمان موثقتان

والدنيا على أيّوب

مطبقة .... بفكّيها ....

تريد حياته " [3]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٥-٨٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٦.
(٣) المصدر نفسه ، ص٨٦-٨٧

" وقد وظّف الشاعر شخصية النبي أيّوب ، ليكشف بها معاناة الشعب الفلسطيني في الواقع المعاصر ، وما يمارس عليه من فعل سلبيّ متعدد الاتجاهات ، في سبيل إخضاعه لحالة الأمر الواقع ، أو قبول السياسات الرامية إلى تغريبه وتشريده ومنعه من أن يشارك في تحرير نفسه ووطنه . ويبتدئ الهمّ المعاصر أكثر وضوحاً حين يبوح بموقفه من الخلافات العربية ، واتّفاقها على رفض الفلسطيني ومنعه من أن يشارك في تحرير وطنه ونفسه " [١]

" وما يهمّنا هنا هو أنّ شخصية الرمز أيوب جاءت معادلاً موضوعياً لشخصية أيّوب الفلسطيني استطاع حيدر أن يجعلها تستوعب معاناة الإنسان في كلّ الأزمنة ، فجسّد بهذا الرمز شخصية المنفيّ الشريد الذي تسدّ أمامه حدود وطنه " [٢]

ونخلص من هذا الفصل إلى أن حيدر محمود استطاع أن يعالج القضايا السياسية معالجة شاملة من خلال عرضها ، وهو لم يقف منها موقفاً سلبياً عند ذكرها والوقوف عليها وحسب وإنما طرح الحلول لها .

(١) الكركي ، خالد : الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٩ ص٢٢١.
(٢) النصار ، فايز : الرموز التراثية في شعر حيدر محمود ، مرجع سابق ، ص ٤٤.

الفصل الثاني

الشعر الاجتماعي عند حيدر محمود

الفصل الثاني

المبحث الأول

الشعر الاجتماعي عند حيدر محمود

" لم يقف الشاعر حيدر محمود في نقده الذاتي عند حدود القضايا السياسية فقط ، بل شارك مشاركةً فعّالةً في نقل وتصوير هموم المجتمع ومشاكله ، من خلال تجربة مريرة ومعاناة عاشها بكلّ أبعادها وحاول نقلها بصدق وأمانة ، ليسهم من خلال طرحها في الكشف عن الكثير من الأمراض الاجتماعية التي كانت وما زالت تعتري المجتمع العربي وتقلقه ، وليؤدي رسالته النبيلة في التنبيه على هذه العيوب ، ووضع العلاج المناسب لها ." [١]

ونبّه الشعر الاجتماعي إلى مشكلة التخلف وقضايا الزواج ، ومشكلة الحرية والفقر وبؤس الناس والمرض والجهل وفقدان العدالة الاجتماعية ، وعانى الشاعر الرّياء الاجتماعي .

ومن خلال معايشة الشاعر للطبقات الاجتماعية في عصره ، فقد عاش الواقع الاجتماعي بكلّ تفاصيله ، وصوّرة بكلّ دقّة ، وصوّر أهم الأمراض التي يعاني منها المجتمع ، وركّز عليها ، وتألّم أشدّ التألّم من سلوك بعض الأفراد أو سلوك بعض الجماعات ، الذي ينّمُ عن نفاق اجتماعي أو خداع والتفاف ، وقد استطاع الشاعر أن يصوّر أمراض المجتمع تصويراً دقيقاً ، نظراً لأنّ الشاعر قريب من روح العامة ، وهو مراقب دقيق لجزئيات الحياة الاجتماعية في بلده .

" والشاعر المجدّد قد صار ينظر إلى القضايا الاجتماعية من منظور سياسي ، ويعد التخلّف الاجتماعي متسبّباً عن التخلّف السياسي ، والمهمّ أنّ الشاعر أخذ يشعر بأنّ عليه واجباً والتزاماً تجاه من تهمهم المشكلة الاجتماعية وهو إنصافهم ، إنّه لا يعيش على هامش المجتمع ، إنّه ابن هذا المجتمع ، فهو يشعر بأنّ كلّ قضية من قضايا المجتمع هي قضيته ، وعندما يعبّر عن هذه القضايا ، يشعر بأنّه يجب أن يتّخذ منها موقفاً يمليه عليه انتماؤه الاجتماعي " [٢]

وفي هذا الفصل سأحاول دراسة أهمّ المظاهر الاجتماعية والأمراض الاجتماعية التي توقّف عندها الشاعر .

---

(١) المجالي ، محمد أحمد : الشاعران حيدر محمود ونزار قباني ، مرجع سابق ، ص١٤٠.
(٢) النجار ،عبدالفتاح : التجديد في الشعر الأردني ، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، عمان ،ط١، ص ٢٠١٥ .

المبحث الأول : أبرز القضايا الاجتماعية عند حيد محمود

المحسوبية والنفاق الاجتماعي

من أبرز القضايا الاجتماعية التي نالت من الشاعر عناية وتحليلاً قضية المحسوبية والنفاق الاجتماعي والتسلّق والوصولية ، وقد نظم الشاعر الكثير من القصائد التي تصوّر هذه الأمراض الاجتماعية ، ومنها قصيدة " يا ولدي " التي يقول فيها :

يأتي زمنٌ صعلوكْ

يتخلّى فيه قلبك عنكْ

ويُعلن ألّا دخل لهُ

بلسانك .... فوك! (١)

وفيه يشير الشاعر إلى انعدام التماسك الاجتماعي ، وبحث كل فرد عن مصلحته الشخصية ، وعدم التفكير في المصلحة العامة التي تهمّ المجتمع بكامله ، وهذه سمات المجتمع الذي يعيش فيه ، والمتمثلة بالأنانية الفردية ، وحب الوصول إلى المنزلة الرفيعة ، ويطلب الشاعر من ابنه أن يتأقلم مع هذا الزمن بالطريقة المناسبة .

فإذا جاءك ،

فادخل فيه ،

وأدخله ،

قبل فوات الفرصة ،

فيك! (٢)

ويعلمه طريقة التعامل مع هذا المجتمع المنافق القائم على المحسوبية وحب الفرد والأنانية .

يا ولدي !

واركب كلّ الموجِ ،

فإن لم تقدر

مارس ((طقس الإسفنج))

---

(١) محمود , حيدر , الأعمال الشعرية ، ص٢٣ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٢٤ .

يعبّ مياه البحر،

ولا يشربها ...

ويدلّ الحيتان ،

على الحيتان ...

ولا يقربها واصطد مع كل الصيادين

ولكن حاذر أن يصطادوك! [١]

" فهو في هذه القصيدة ينعى على المجتمع أن يعيش فيه الفرد مفتقداً لواحدة من أهم مقوّمات الحياة السويّة : الأمن والطمأنينة ، خائفاً من كلمة الحق ، مرتدياً غير وجهه ، يظهر خلاف ما يبطن." [٢]

وفي هذا المجتمع القائم على المحسوبية وقوى الضغط الداخلي ، أو ما يسمى باللوبيات الداخلية أكانت سياسية أم اقتصادية ، يتطلّب الأمر من الفرد أن يكون كالصخر لا يتزحزح ، وإلا فإنّ التيار سوف يجرفه ، وسرعان ما ينهار أمام المدّ العاتي .

يا ولدي!

وقد اختلط الحابلُ ،

بالنابل ،

والطالعُ...

بالنازل ...

واشتدّت ريح القهر ..

لن يصمد ،

إلا من كان له صدرٌ

كالصّخر،

وإلا ... من كان له ،

يا ولدي.... ظهْر... [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤ -٢٥ .
(٢) المجالي ، محمد أحمد : الشاعران حيدر محمود ونزار قباني ، مرجع سابق ، ص١٤١ .
(٣) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص٢٥ .

وفي هذه القصيدة تبدو سمة الخوف ظاهرة في نفس الشاعر حيدر محمود ، فالمجتمع الذي يعيش فيه قائم على انعدام الأمان والطمأنينة ، وإنّما قائم على الخوف والشكّ .

وفي قصيدة أخرى قالها يرثي بها المغنّي عبده موسى أراد الشاعر أن يصوّر واقعاً اجتماعياً مؤلماً قائماً على الطبقية بين الفئات الاجتماعية الدنيا والعليا ، واختار الشاعر موت الفنان عبده موسى ليركّز على هذه القضية فعبده موسى ينتمي إلى طائفة اجتماعية معيّنة تقع أسفل السلم الاجتماعي لذلك لم يعط التكريم اللازم ولا الرثاء المطلوب كما لو أنّه حوت من الحيتان .

يقول في رثائية عبده موسى :

لو أنّ واحداً من الحيتان ، مات ،

حدّت الحيتان كلّها،عليهْ...

وسارَ من وراء نعشه

المنافقون ...

بوّسوا خدّيهْ ...

وحنّطوا في مُتحف الرّضى ،

قميصهُ ..

وحنّطوا نعليه ... (١)

وكأنّه في هذه القصيدة يسير على نهج عرار الذي رثى الهبر زعيم النور ويصوّر الشاعر عمق الهوّة بين الطبقات الاجتماعية الدنيا والعليا ، من خلال توضيحه أنّ موت عبده موسى لم يكن بمستوى الحدث المطلوب ، فلم يبك عليه سوى ربابته التي أسرت الملايين .

لعلّها الوحيدة التي بكت عليه

هذه الرّبابةُ العتيقة

لعلّها الوحيدة الصديقة !

كانت رغيفه ،

وسيفه ،

وخيمة انتظاره الطّويلْ!

ومات في سبيلها ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٢.

فهو شهيد اثنتين :

حبّه ، وجوعه النبيل" [1]

وقد احتلّت قضيّة الظلم الاجتماعي والطبقية عند حيدر محمود مساحة لا بأس بها ، من جملة القضايا الاجتماعية الأخرى ، وقد صوّرها أجمل تصوير ، وصوّر معاناة الطبقات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا من خلال استحياء الرموز التراثية ، كرمز الصعاليك الذين هم مجموعة اجتماعية متجانسة ، حاولت بشتّى الوسائل مقاومة الآفات الاجتماعية ، وإقامة مجتمع مثالي قائم على العدالة والمساواة بين أفراده ،إذ لا غرابة أن نجد ديوانه يحوي أكثر من قصيدة تتحدث عن الصعاليك ، وحديثه عن هذه الفئة الاجتماعية المظلومة .

واستلهم الشاعر شخصية عرار تحديداً لما قامت به هذه الشخصية ، وبكل ما أوتيت من قوة في الوقوف بجانب المستضعفين والفقراء والدفاع عنهم ومحاربة الاستغلال .

ويشير الشاعر في أكثر من مناسبة ، وفي أكثر من قصيدة إلى عدم ثبوت القيم ، ولكن تغيرها من حال إلى حال ، وانتشار الزيف والأقنعة المستعارة التي تخفي خلفها وجوهاً حقيقية بشعة .

أحاول الفهمّ :

هذا السوق أتعبني ..

وحيّرتني اضطرابات الموازين !

هل صاحبي .. صاحبي؟!

(من ذا يجاوبني ..)

وهل عدوّي.. عدوّي ؟!

(من سيُفتيني !) [2]

والشاعر يوضّح أنّه لا جدوى من محاربة هذا الواقع المتجذّر ، لأنّه من الصعب محاربته وتغييره ويوضح بطريقة ساخرة ، أنّ هذا الواقع لا خلاص منه ، ولا مناص سوى القبول بكل هذه السلبيات والسكوت على ما يجري من مفارقات .

---

(١) المصدر السابق ،ص٢٤١-٢٤٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص٧١-٧٢ .

أغمض عينيك ...

إذا ما هربت أمّك يوماً ،

من حضن أبيكْ !

أو جدُّك راح يغازل زوج أخيك!

لا تقلقْ... لو وضعوا في السّجن،

السجّانْ!

وإذا (يوماً)

أحيت ليلة عرسٍ..

جوقة غربان !!

هذا زمنٌ .. يهربُ فيه القطُّ ،

من الفئرانْ :

أغلق أبواب البيت عليك...

ولا تحمل همّاً (أبداً)

عن إنسان !!

هذا زمن لا يرحم

فاسكت تسلم (١)

فهذا الواقع متجذّر في نظر الشاعر ويصعب تغييره .

ويبدو الشاعر في هذه الأبيات مستسلماً للواقع سلبياً إلى أعلى درجات السلبية ، لاعتقاده أنّ الأبواب جميعها قد أغلقت أمام محاولات الإصلاح والتغيير .

الفقر والعوز والحاجة

ومن القضايا والهموم الاجتماعية التي عالجها الشاعر حيدر محمود في شعره مشكلة الفقر والعوز التي تمّس معظم أفراد المجتمع فهي مشكلة وطنية بامتياز .

ولعلّ من أبرز القصائد التي أفردها الشاعر للحديث عن هذه الظاهرة قصيدة " معزوفة المواطن رقم صفر " ،التي عالج فيها قضية الفقر والعازة وانخفاض المستوى المعيشي لدى الطبقات محدودة الدخل ، وانحراف بعض أفرادها بوازع من الحاجة .

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٩٩-٣٠٠ .

ويحمل عنوان القصيدة " معزوفة المواطن رقم صفر " إيحاءاً بأنّ هذا المواطن وأمثاله لا يملكون من الدنيا شيئاً ، وأنّ دخلهم لا يكاد يتجاوز الرقم صفر ، ولا تكفيهم دخولهم ورواتبهم لتغطية شؤون الحياة ومتطلباتها ، والفقر في نظر الشاعر لا ينتج إلا فقراً وذلاً ومهانة ، والفقير لا ينجب إلا فقيراً .

أتيت من تلاقح الخوف

مع الخوف

ومن بكتيريا السأمْ!

ومن لقاء سيّد الفراغ (الجوع)

بالفراغ..

من تثاؤب العدمْ!!

وعشت فوق الطّين :

طحلباً..

لا وزن لي ..

لا حزن لي ..

ولا ألم ! (١)

وهو مجرد موظّف لا يكفيه راتبه لسدّ رمقه ورمق أسرته ، ومع ذلك نجد من يراوده على راتبه الشحيح من هو أعلى منه درجةً ومنصباً .

وكنت مرّة .. موظفاً

كسائر الموظفينْ

(ينام في مكتبه ..

ويشتم الموظفين

وحين أصبح المدير صاحبي

راودني عن راتبي !! (٢)

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٤٩-٢٥٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٥٠ .

والفقراء في نظر الشاعر ليسوا سوى أرقام يتساقطون الواحد تلو الآخر من الجوع والمرض

رقم آخرُ..

يسقط من ((تقويم الأيام))

رقمٌ أخرُ...

والمنتظرون على

جسر الأحلام

يجترون حروف لعلّ

ومن : ((يا ليت))

يقيمون بيوتاً [١]

فهم يعيشون على الأمنيات الزائفة التي لا تشبع جائعاً ولا تؤوي مشرداً .

" وقد ظلّ موضوع الفقر الشغل الشاغل للشاعر في معظم قصائده الاجتماعية ، فقد تحدث عنه حديثا معبّراً ومؤثراً ، مؤكّداً أنّ الهمّ الاجتماعي هو همّ الفقراء ، وأنّ المعاناة بجميع أشكالها هي معاناة الفقراء أيضاً .

يقول في هذا الموضوع

أدركنا يا عاصم

من هذا البرد

فإنّا فقراء

لا نملك ما يستر شبح العورات

القابعة على استحياء

أدركنا يا رب الفقراء " [٢]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(٢) المجالي ، محمد : الشاعران حيدر محمود ونزار قباني ، مرجع سابق ، ص ٩٦-٩٧ .

وإن كان المال يفرّق المجتمع إلى طبقات في حياة البشر، فالموت كفيل بإحداث المساواة بين البشر وهي دعوة إلى الأغنياء بالإحساس بهموم الفقراء ومشاكلهم .

يا وطني

يا ... وطن الفقراء

هلْ .. نتوحّد موتى

من بعد تفرّقنا ...أحياء ؟! (١)

ويتحدّث الشاعر عن زمن التكافل بين أفراد المجتمع ، ووقوف الأغنياء مع الفقراء وبرّهم بهم وزوال ذاك الزمان ، وتقطّع أواصر المحبّة بين الناس الآن .

" ويستمرّ الشاعر في تناول طبقات المجتمع العربي وفئاته ، ويتوقف عند فئة المحرومين الذين يعانون الفقر والحرمان في هذا المكان ، ويظلّ هاجس الشاعر ينبض بهموم الناس ، ويحمل أحلام البسطاء والفقراء ، وأملهم بحياة كريمة من خلال الالتحام بهذه الأحلام والطموحات المستقبلية ، فيجد في الصورة الأسطورية ما يخدم رؤيته ، إذ تأتي حورية البحر بالخبز وبالماء والفرحة لكل البسطاء والمحرومين ، وتداوي أسى المجروحين وتشاركهم أحزانهم وترسم الفرحة على وجوههم .

الليلة أجمع في شرفة حزني

كلّ الفقراء

لأحدّثهم عن حورية بحر

كانت في كل مساء

تأتي بسلال الخبز

وتأتي بأباريق الماء

لكن ذاك الزمان ذهب وتلاشى

ولم يبق منه سوى الذكريات

لكنّ البحر – وللبحر جنون الموج –

استكثر مرح الشط فمزّقه بالسكين" (٢)

---

(١) محمود ، حيدر ، الأعمال الشعرية ، ص٥٣ .

(٢) البعول ، فاطمة ، المكان في شعر حيدر محمود ، مرجع سابق ، ص٧٠ .

ومع ذلك فالفقر ليس عيباً في نظر الشاعر ، وإنّما قد يكون محرّضاً من أجل حياة كريمة ، فالرسول كان يتيماً وفقيراً ، ومع ذلك لم يكن الفقر واليتم مانعاً عن البحث عن حياة كريمة .

بدأ الإسلام غريباً.

وغريباً كان أبو الزهراء

ويتيماً .. وفقيراً .. ووحيداً في

ليل الصحراء

وأراد الله ، فطأطأ هامته العالم

واهتزّ الكونُ

وديست تحت الأقدام العريانةِ

تيجانُ العظماء

وأمام ((حُبيبات)) التمر اليابسة انهارت

أصنام الشركِ ،

وخرّت أركان السفهاء [1]

ومع ذلك لا يمكن للإنسان الأردني الشريف أن يبيع كرامته من أجل المال .

من قال إنّا نبالي أمطرت ذهباً

سماء أوطاننا ؟!أو قطّ لم تجد

فعندنا : الموت فقراً ... وهي رافلةٌ

بالعزّ أكرم من مستنقع الرغد !! [2]

الجهل وغياب الوعي

كثيراً ما ركّز الشاعر على ظاهرة الجهل وغياب الوعي التي تعاني منها الأمة العربية ، سواء أكان هذا الوعي سياسياً أم ثقافياً أم اجتماعياً ، على اعتبار أنّ مشكلة الجهل وانعدام الوعي مشكلة اجتماعية في الأساس ، وحتماً تؤثر على الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لهذه الأمّة .

ومن القضايا والظواهر المتعلّقة بالجهل وغياب الوعي ، التي ذكرها حيدر محمود في شعره قضية تربية النشء ، والاعتقاد السائد بأهميّة العدد والكثرة ، دون النظر إلى النوع الذي يتصف به هذا العدد .

---

(١) محمود ، حيدر ، الأعمال الشعرية ، ص ٢٧٧.
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

ومن عجبٍ.. أنّا

والسكّين على العُنُق،

نمارسٍ ((فعل الإنجاب!))

كأنّ فحولتنا العربية ،

موضع شكّ

من قبل الإمبريالية،

والصهيونية ،

وبقيّة ما في هذا العالم

من أعداء !!

حسناً ..

فلنثبتْ .. أنّا

(حتّى والسكّين على العنق)

الأكفاء

الأكفاء

الأكفاء! [١]

ويطلب الشاعر من أبناء هذا الوطن أن يركّزوا جهودهم على تربية النشء تربية سليمة ، وتعليمه ، وإنجاب جيل صالح قادر على مواكبة التغيرات ومقاومة المحتل .

خلّونا ننجب أطفالاً

يستعصون على الذبح ،

فلا نسقيهم (مثلاً)

لبن السريلانكيات،

ولا نطعمهم خبز القمح الأمريكي ،

ولا نلبسهمْ..

إلا ما تنسجهُ

الأنوالُ الوطنيةُ

مهما كان رديئا .. [٢]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦.
(٢) المصدر نفسه ، ص٤٧ .

" فالشاعر في الأبيات السابقة يتخذّ موقفا من المرأة العربية ، التي أوكلت تربية أبنائها لمربيات غير عربيات ، وغير مؤهلات على غرس القيم النبيلة والأصيلة في نفوس أطفالها ، لذا قرن فعل الإنجاب بالتربية العربية الأصيلة ، القادرة على تعليم أبنائها كيفية الاعتماد على الذات ، وغرس العزيمة والقوة في نفوسهم " [١]

ويطلب كذلك تربيتهم على المطالبة بحقوقهم ، والوقوف ضدّ المحتلّ ، بكلّ ما أوتوا من قوّة .

ونعلّمهم شعر تأبّط شرّاً

وننمّي فيهم حسّ الصعلكة

المتمرّدة على الأشياء

فعسى أن يتأبّط

ولد عربيٌّ ... ما

في بلد عربيٌّ... ما

في زمن عربيٌّ ما

((شرّاً))

ويغيّر وجه الصحراء !! [٢]

والجهل له أكثر من صورة ، وله أكثر من وجه ، وأشدّه عمقاً وتأثيراً الجهل الديني ، والتمسك بالشعائر الدينية كالصلاة والصوم وغيرها من الشعائر ، ولكن هذه الشعائر مجرّد حركات نقوم بها ولا تؤثّر في سلوكنا شيئاً ، فهي منفصلة تمام الانفصال عن واقعنا ، وهذه الشعائر لا تنمّي فينا الانتصار لعزتنا أو الثأر لكرامتنا ، والأصل في هذه الشعائر أن تكون منسجمة مع واقعنا لا منفصلة عنه ، وهذه القضيّة قضيّة الجهل الديني التي يعيشها معظم أفراد الأمة قد أخذت من شعر الشاعر مساحة كبيرة وركّز عليها تركيزاً كبيراً .

مسلمون .. نعم

وشهادة ألا إله سوى الله،

ينطقها كل فم ..

ونقيم شعائره كلّها..

ونطيع أوامره ..كلّها ..

---

(١) الخطيب ، مجدي : الظواهر الأسلوبية في شعر حيدر محمود ، رسالة دكتوراه ، اليرموك ٢٠١١ ص٢٢١ .
(٢) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص٤٧ .

غير أنّا ،

ونحن نطأطىء هاماتنا للغزاة

قد فقدنا رضاه ! [١]

وهذا هو الجهل بعينه ، والجهل بمقاصد الدين ويصل الجهل عند العرب إلى الجهل بمنطق الأشياء وهو المنطق الذي يجب أن يفهمه الجميع إذ لا صعوبة في فهمه ، ومنه أنّ الحق لا ينتصر إلا إذا وجد المدافعون عنه ، ولا يمكن أن ينتصر بشكل تلقائي .

وتقولون لا بدّ أن يظهر الحق

كيف سيظهر إن لم تؤدّوا الثمن " [٢]

ووصل الأمر بالعرب إلى الجهل بأسباب النصر ، واعتبار أنّ النصر هديّة من الله دون جهد أو تعب ، لذلك يشير الشاعر في مواقف كثيرة إلى الأسباب المؤدية إلى النصر، واستلهام الماضي وانتصاراته وأسبابها ، فالنصر نتيجة لها أسبابها المؤدية إليها كالعلم والعمل الجاد .

كنّا من حول رسول الله ،
سيوفاً لا تخشى إلا الله..
وشموساً تطلع في الليل ،
لتهدي الظمآنين،
إلى أنوار الله..
كنّا قرآن الحق،المتحرك ، والفاعل
في الأرض ، وفي الإنسان
كنّا خير الحكماء ،
وخير العلماء ،
وخير الزرّاع ،
وخير الصنّاع ،
وخير السادة ،
والقادة والفرسان
ولهذا انتصرت ، وانتشرت
كلمات الرحمن" [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص٦١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٦٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٢٧٨ .

والجهل يؤدي بطبعه إلى كارثة حقيقية ، بل هو أم الكوارث و أصلها ، فجميع هزائمنا ونكباتنا مصدرها الجهل والتخلف ، قبل أن يكون الفقر والضعف .

أحبّائي ..

رفاق الليل ، والغربة

أقول لكم ، لماذا كانت النكبة

لأنّا حين كنّا نزرع الزيتون،

كنّا نجهل التربة!

ولا نهتمّ..إن أعطت

وإن لم تعط

نترك أمرها لله

يحرثها ، ويسقيها

وينفخ روحه فيها !! [1]

والنكبة قصة ونحن من صنع فصولها ، فهي حتميّة تاريخية في نظر الشاعر .

فلم تمرع حقولُ القمح،

وهي فسيحة رحبة

وكلّ بيادر الزّيتون

لم تطلع.. ولا حبّة

لأنّا ...حين كنّا نزرع الزيتون

كنّا نجهل التربة ! [2]

---

(١) المصدر السابق ،ص ٢٩٢-٢٩٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٩٤ .

ومن القضايا التي عالجها حيدر محمود في شعره قضية الفراغ ، التي يعاني منها المجتمع العربي بكامله ، وهي قضيّة مؤرّقة لها أبعادها الاجتماعية الكثيرة .

يقول الشاعر في قصيدة " تقول جارتي "

هواية الرجال

النرد ..والنرجيلة

(كما ترى ..)

وقصص البطولة ..

وإذ تغيب الشمسُ

يهجم الشبق

يدبّ في أوصالهم كالنار

كالغضب المثار ،

كالتيار

يحرق الأعصاب،

موجه المولول الصخّاب..

وحين تنطفئ حرارة القلق

وموجة الأرق ..

ويفرغون في البطون ،

ما عاشوه من فراغ ..

يغفون حتى مطلع النهار..

وهكذا.. فإنّ كثرة الفراغ ،

تنجب الأطفال!! [1]

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٤٣-٢٤٤ .

وفي قصيدة أخرى يمازج الشاعر بين الخوف والجوع والفراغ والعدم والسأم ، وهي العوامل المشكّلة للإنسان العربي ، فما هو إلا نتاج عنها .

" أتيت من تلاقح الخوف

مع الخوف

ومن بكتيريا السأم

ومن لقاء سيد الفراغ (الجوع)

بالفراغ

من تثاؤب العدم" (١)

والنتيجة من وراء ذلك حتمية ، وهي وجود جيل عربي لا يعي معنى كينونته ،

"وعشت فوق الطين

طحلباً

لا وزن لي

لا حزن لي

ولا ألم " (٢)

استدعاء الشخصيات الأدبية ذات البعد الاجتماعي

١. شخصية مصطفى وهبي التل (عرار) المقاومة للظلم

يمثّل عرار (مصطفى وهبي التّل) بالنسبة للأردنيين الشخصية القدوة ، الذي حاول بشتّى الوسائل أن يقف ضدّ الظلم والاستبداد ، وأن يقف إلى جانب الطبقات الاجتماعية المظلومة ، وقد تعرّض عرار لأجل ذلك للسجن والنفي والتشريد ، وتمثّل شخصية عرار شخصية الإنسان الذي لا يهادن ، وإنّما يمثّل الشخصية الجريئة ، في المطالبة بحقوقه وحقوق الأردنيين المغتصبة ، سواء أكانت هذه الحقوق حقوقاً سياسية أم اجتماعية .

لذا نجد أنّ الشاعر حيدر محمود استغلّ هذه الشخصية أفضل استغلال ، لأنّها بنظرة الشخصية الأكثر فعالية وتأثيراً في المجتمع الأردني في تاريخ ما .

ويحاول الشاعر حيدر محمود أن يتقمّص شخصية عرار بالكامل ، من خلال طرح الموضوعات نفسها التي طرحها عرار ، مع أنّنا نعتقد أنّ عراراً كان أكثر جرأة وشجاعة ، وأكثر فاعلية وصدقاً

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .
(٢) المصدر نفسه , ص٢٤٩-٢٥٠ .

في مواجهة الظلم والاستبداد ، ولم تكن هذه المواجهة عن طريق شعره فقط ، وإنّما كانت عن طريق الممارسات الحياتية اليومية التي كان يعيشها كل يوم ، من محاربة آكلي الربا وأموال الناس بالباطل ، إلى محاربة المستغلين والفاسدين وغيرهم .

ومن القصائد التي وجهها حيدر محمود إلى عرار قصيدة " نشيد الصعاليك " التي أراد من خلالها أن يقول لعرار ، إنّ ما تعرّضت له من شدائد ومحن أتعرّض له الآن ، وإنّ الأوضاع الاجتماعية التي عشتها أعيشها الآن ، وإنّ زمرة المتنفذين والفاسدين قد رجعت .

وقد قال الشاعر هذه القصيدة في الذكرى الأربعين لوفاة عرار

عفا الصفا .... وانتفى .... يا مصطفى ..وعلت

ظهور خير المطايا .... شرّ فرسان

فلا تلم ، شعبك المقهور، إن وقعت

عيناك فيه ، على مليون سكران! [1]

وهذه الفئة التي تحكمت بمقدرات الوطن ، بعيدة كلّ البعد عن الوطنية ، ولا تعرف هذا الوطن ، ولم تشرب من مياهه ، ولم تقف على أطلاله ، لذلك لا تهمها مصلحة الوطن لأنّها دخيلة عليه وطارئة .

" قد حكّموا فيه أفّاقين ..... ما وقفوا

يوماً بإربد.. أو طافوا بحسبان !

ولا بوادي الشتا ناموا..... ولا شربوا

من ماء ((راحوب)) ..... أو هاموا ((بشيحان))! [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٩١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

إشارة إلى علاقة عرار بهذه الأمكنة ، وحبّه لها وذكرها في شعره كقوله :

ليت الوقوف بوادي السير إجباري

وليت جارك يا وادي الشتا جاري [١]

وقوله:

يا أردنيات إن أوديت مغتربا

انسجنها بأبي أنتنّ أكفاني

وقلن للصحب واروا بعض أعظمه

في تلّ إربد أو في سفح شيحان [٢]

وكأنّه أراد أن يصنع مفارقة بينه وبين عرار من جهة ، وبين المفسدين المعاصرين لعرار والمعاصرين له من جهة أخرى .

ولا يوجد في هذا الزمان من له المقدرة على محاربة هؤلاء المتنفذين والفسدة .

فأمعنوا فيه ((تشليحاً)) .. ((وبهدلةً))

ولم يقل أحد ((كاني ..ولا ماني !))

ومن يقول ؟ وكل الناطقين مضوا

ولم يعد في بلادي...غير خرسان ! [٣]

---

(١) التل ، مصطفى وهبي : عشيات وادي اليابس ، وزارة الثقافة عمان ، ص٢٣١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٣.
(٣) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، مصدر سابق ، ص ٩٢ .

والوطن في نظر هؤلاء ما هو إلا مزرعة ، يأخذون من خيراتها ما أرادوا دون قانون رادع ولا رقيب محاسب .

يا شاعر الشعب ..

صار الشعب مزرعةً ،

لحفنةٍ من عكاريت وزعران !

لا يخجلون ...

وقد باعوا شواربنا

من أن يبيعوا اللحى ،

في أيّ دكان !!

فليس يردعهم شيءٌ ،وليس لهم

همّ .. سوى جمع أموالٍ وأعوان! (١)

وكأنّ الشاعر هنا يحاول أن يجلب الأعذار لنفسه في عدم مقدرته على مقاومة هؤلاء ، فهو شاعر لا ظهر له يسنده ، ولا قبيلة تحميه :

وإنّني ،ثمّ ،لا ظهرٌ
فيغضب لي
وإنّني ،ثم ،لا صدرٌ
فيلقاني!
ولا ملايين عندي... كي تخلّصني
من العقاب ... ولم أدعم بنسوان ! (٢)

---

(١) المصدر السابق ، ص٩٢ .
(٢) المصدر نفسه , ص٩٣ .

ولكنّ الشاعر يعود ويبعث الأمل في نفوس الأردنيين ، في أنّ هذا الوضع لن يدوم ، وأنّ هؤلاء المفسدين سيرحلون كما رحل غيرهم .

" وللصعاليك يوم

يرفعون به

راياتهم ... فاحذرينا يا يد الجاني" [1]

وفي قصيدة أخرى بعنوان " محاولة اعتذار لعرار " يبدو أنّ الشاعر فيها أراد أن يوجّه رسالة لعرار ، يعتذر له فيها عن عدم شجاعته في قول ما يجب قوله ، والسير على هدي عرار من المواجهة وعدم الاختباء ، ولن يجنح هذه المرّة إلى المواجهة ، وإنّما إلى الرمز حتّى لا يهاجم ، كما هوجم يوم أن نظم عن تأبّط شرّاً وعن الصعاليك .

سأجنح للرمز

حتى لا يؤاخذني أحد

من ذوي الشأن

أو يعتب المشرفون

على المهرجان !

فحسبي الذي كان ،

من وجع القلب ،

لمّا تأبّطت شري

وأعلنت أنّي

أمير صعاليك هذا الزمان! [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٩٥ .
(٢) المصدر نفسه , ص٣٨٩-٣٩٠ .

ويشير الشاعر إلى حلمه وحلم الأردنيين بوجود وطن لا يحاسب المواطن فيه على مشاعره وأفكاره

سأكتب عن عالم

لا يحاسب فيه على نبضه

القلب ،

أو تسأل الروح :

أين تروح.. إذا طلعت ،

وإذا نزلت

لا يصادرها فرمان [1]

والشاعر يعرف شخصية عرار التي لا تقبل إلا الوضوح والمجابهة ، ويعرف أنّ عراراً سيغضب من جنوح الشاعر إلى الرمز .

" وأعرف أنّ عراراً

سيغضبُ ،

حين يرى أنّني أتهرّب

من أن أسمّي الأمور

بأسمائها

وسيضرب كفاً بكفّ

ويعجب

كيف انتهى الشعراء

إلى الاقتناع بربط

حزام الأمان !!

لأنّ الحكومة مقنعةٌ

وهي تعرف مصلحة الشعب ،

أكثر منه

وأكثر حتى من البرلمان! [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٣٩٠-٣٩١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٩١ .

ويشير الشاعر إلى الرقابة التي تفرضها الحكومات على ألسنة الشعراء

سأجنح للرمز

علّ الغموض يساعدني

في الخروج عن النصّ،

من خلف ظهر الرقابة ! [١]

والشاعر له المقدرة في نظر نفسه على اللعب بالكلمات حتى لا تدينه ، ولكنّه لا يفعل ذلك .

أملك لو شئت

أن أتخابث

أملك أن أتحادث

حتى تصير القصيدة لغزاً

يحيّر من يقرؤون

ومن يكتبون

ولكنّني عندها

لن أكون

كما الشعر علّمني أن أكون

وسوف يهاجمني

خالد الكركي

وإحسان رمزي

والأصدقاء الذين بهم،

مثل ما بي أنا من شجون " [٢]

وفي هذه القصيدة يجعل الشاعر من عرار مثلاً وقدوة يسير عليهما .

---

(١) المصدر السابق ، ص٣٩٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٩٢-٣٩٣.

٢ - (شخصية المتنبّي) المثقف وطالب السلطة

قام الشاعر بالاستعانة بشخصية المتنبي لما تمثّله هذه الشخصية من حضور بارز ، فالمتنبّي له مكانته الأدبيّة الكبيرة في أوساط الشعراء والأدباء ، وقد تم التعامل مع هذه الشخصية الكبيرة من منظورين مختلفين ، يحدّد فيهما علاقة الأديب بالسلطة ، أو بالأحرى ما يجب أن تكون عليه علاقة المثقّف والأديب بالسلطة ، أمّا المنظور الأول : فهو منظور إيجابي ينظر فيه الشاعر إلى قيمة المتنبّي الأدبية ، واحترام الناس له بسبب هذه المكانة ، وإنّ أشعاره تفوقت على أشعار الآخرين وبقيت خالدة إلى اليوم .

ويتحدّث حيدر محمود عن التحديات والمصاعب التي تقف في وجه الأديب ، وتعوقه عن أداء مهمّته ، والمتمثّلة في كثرة الحسّاد والمغرضين الذين يقفون في وجه تقدّمه ، ويشير الشاعر بلمحة جميلة إلى أنّ هؤلاء الحسّاد ومع مضيّ أكثر من ألف عام على وفاة المتنبّي ما زالوا يتحينون الفرص للإيقاع بالشاعر ، وكأنّ المعركة التي خاضها المتنبّي ضدّ حساده ، يخوضها الشاعر الآن ،وإنّ المعركة مستمرّة ، في إشارة إلى مكانة الشاعر المرموقة ، التي يعتقد أنّها يمكن أن تصل لمكانة المتنبي الفذّة ، مع وجود تشابه بين الشاعرين فكلاهما شاعر قصر ولكليهما أعداء حاسدون .

يقول في قصيدته المسمّاة " عن الجعفي أيضا "

بعد أكثر من ألف عام

على موته

ما تزال تقارير حساده

المغرضين

تتوالى على حلب

من جميع الولايات

تشكو عليه ،

وتنشر عنه الإشاعات (١)

ويعلي الشاعر من قيمة المتنبي الأدبية ، وإنّه حاز هذه المكانة لشعره وأدبه ، ولم يستطع أحد الوصول إلى هذه المكانة والاحترام ، ولولا هذه المكانة لما تعرّض للحسد والعداء من قبل أعدائه .

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٠٨ .

إنّه شاغل الناس

(حياً وميتاً)

وحارق أكباد حساده

منذ سلّمه الشعر

مفتاحه الذهبيّ،

وقال له أنت وحدك

سيدهم أجمعين!! [1]

وهذه القصيدة تصوّر ما يعانيه الشاعر ذو المكانة من حسد وبغض .

أمّا بالنسبة إلى المنظور الثاني ، فهو المنظور السلبي الذي يعالجه الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان ليلة سقوط المواطن أحمد حسين الجعفي " يوجّه فيها نقده المباشر للمتنبي ، بسبب جريه وراء المكاسب التي أثّرت على مكانته كأديب ، وفي هذا إشارة إلى الطريقة التي يجب أن تحدّد علاقة الأديب بالسلطة .

كم كنت غبياً

يا جعفي

وأغبى الناس هم الشعراء

حتى صاحبك الحلبيُّ

علي ابن أبي الهيجاء

لم يحزن حين اغتالوك

ولم تبك عليك الشهباء!

بل سهرت تلك الليلة ،

حتى الفجر

وغنّت

رقصت

شربت حدّ الإعياء !! [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٠٩ .
(٢) المصدر نفسه , ص٣٨٠-٣٨١.

فأقرب الناس إلى المتنبي وهو سيف الدولة الحمداني ، الذي أهدى المتنبي إليه أجمل قصائده لم يبك لما أصاب المتنبي من رحيل وتشرّد ، ويشير الشاعر إلى شخصية المتنبي التي تنكّرت للجميع من أجل الوصول إلى السلطة والإمارة :

وعدتك الدنيا،

بأب من ذهبٍ،

لو أنكرت أباك

فأنكرت جميع الآباء !

وتنكّرت لأجمل من في الكوفة ،

سقّائيها البسطاء ،

وحرّاثيها الفقراء ،

وجعفييها المعتزّين

بأنّك منهم (١)

ويشير الشاعر إلى تفاهة طموح المتنبي ، الذي يجري وراءه ، متخلياً فيه عن قامته الشعرية العالية ويوجّه سهام نقده إليه ، والأصل في ذلك أن يحتاج إليه أصحاب السلطة لا أن يحتاج إليهم ، لأنّ ما يقدّمه الشاعر للسلطة أثمن بكثير مما تقدمه السلطة للشاعر، وفي هذا إشارة إلى العلاقة التي يجب أن تحدّد علاقة المثقّف بالسلطة ، وهي علاقة قائمة على الصدق والموضوعية ، لا على المنافع المتبادلة .

ما أتفه يا جعفي طموحك

ما أصغر ما يتمناه

أمير مثلك

يملك ما لا يملكه الأمراء !؟

من كان سيعرف

لولا شعرك

بدراً أو كافوراً ،

أو حتى صاحبك ابن أبي الهيجاء!؟ (٢)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨١- ٣٨٢ .
(٢) المصدر نفسه , ص٣٨٢ .

ويبدو أنّ الشاعر حيدر محمود اختار المتنبي نموذجاً يمثل علاقة الشاعر بالسلطة ، وهي العلاقة التي تجمع حيدر محمود بالسلطة كذلك ، فكلاهما يعيش الحالة عينها ، ويتصرف السلوك نفسه .

خير من كل ولايات الدنيا

يا جعفي

قصائدك العصماء

لكن :

خير منك ، ومنها

ذاك الجعفي ، الكوفي ، السقاء!! [١]

وهي رسالة إلى المتنبي وإلى كلّ الشعراء أن يعودوا إلى طبيعتهم الطيّبة قبل اختلاطها بالمصالح ، وقبل أن تضع شعرها في محلّ لا يليق به .

وفي قصيدة أخرى يوجه الشاعر نقده اللاذع للمتنبي ، الذي يمثل فئة المثقفين الذين تخلّوا عن رسالتهم النبيلة ، وأصبحوا عبيداً للحكام ورغباتهم ، متناسين دورهم الطليعي في نهضة هذه الأمة .

إنّ حيدر محمود يستحضر صورة المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، وكوّن لنفسه شخصية ذات بعد قومي واضح ، فيراه في صورة الحاضر خادماً لسيده يمشّط شعر لحيته ، ويصنع له قهوته الصباحية ، ويفرك له سرّته قبل نومه " فيقرر الشاعر بذلك أنّ الكلمات لا تحلّ مشكلة الأمّة لأنّ الحل الحاسم إنّما يكمن في حضور السيف " [٢]

يقول في قصيدة "٦ رسائل إلى عمان " يصف فيه الحال التي وصل إليها المثقّف العربي من الذلّة والهوان .

هنا .... يلد الرمل

رملاً ، ونملاً

يمصّ دم النخل

(آخر ما ظلّ من شرف الأصل)

فالمتنبي .... غلام يمشّط

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨٢- ٣٨٣ .

(٢) أبو صبيح ، يوسف : المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر ، منشورات وزارة الثقافة عمان ط١ ص١٧٣ .

لحية مولاه

يصنع قهوته في الصباح

وفي آخر الليل

يفرك سرّته وينام

ويحلم بالخيل

إنّ لها موسماً نابضاً بالرجال

ويحلم بالسيف" [١]

" وهكذا يحاول الشاعر من خلال استدعاء رمز المتنبي أن يركّز الضوء على ما يعانيه الفنّان المبدع ، الذي تحاربه السلطة وتعمل على إجهاض طموحه وإبداعه وفنه ، " [٢]

٣ - شخصية (عبده موسى)

استعار الشاعر حيدر محمود شخصية عبده موسى ، لأنّها تنتمي إلى طبقة اجتماعية مبتذلة ، ومع كونه فناناً مبدعاً إلّا أنّه لم ينل الاحترام المطلوب لانتمائه لتلك الطبقة ، ونجد أنّ الشاعر هنا يسير على خطى عرار ويتلمس طريقه ، فعرار قام برثاء الهبر ، وهو شيخ النور معتقداً أنّه أولى بالرثاء من كثير من الناس لأنّه يمثل وجهاً حقيقياً لا زائفاً ، والشاعر كذلك قام برثاء عبده موسى ، وأطلق على قصيدته "رثاء الحقيقة "، فمن يرثيه يمثل الحقيقة الواضحة الناصعة دون إضافات ودون إخراج وترتيب .

"لعلّها الوحيدة التي بكت عليه

هذه الربابة العتيقة

لعلّها الوحيدة الصديقة !

كانت رغيفه

وسيفه

وخيمة انتظاره الطويل

ومات في سبيلها ،

فهو شهيد اثنين :

حبه ، وجوعه النبيل [٣]

---

(١) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص١٦٠-١٦١ .
(٢) النصار، فايز : الرموز التراثية في شعر حيدر محمود، ص ٧٨ .
(٣) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ،ص٢٤١-٢٤٢.

ويشير الشاعر إلى المفارقة العجيبة ، وهي تقسيم الناس إلى طبقات وأنواع حتى في موضوع الموت والرثاء ، التي يجب أن يتساوى الجميع فيها .

لو أنّ واحداً من الحيتان مات

حدّت الحيتان كلّها ، عليه

وسار ، من وراء نعشه

المنافقون

بوّسوا خدّيه

وحنّطوا ، في متحف الرضى

قميصه

وحنّطوا نعليه

لكنّه يا موت عارنا

من أول الخليقة

فأين ....أين

تسكن الحقيقة؟!! (١)

ونخلص في هذا الفصل إلى أن حيدر محمود استطاع أن يعالج القضايا والمشاكل الاجتماعية ، التي يعيشها المجتمع العربي معالجة شاملة ، طارحاً الحلول لهذه القضايا ، وهو لم يقف عند الوظيفة السردية ، وإنما تعداها إلى المعالجة الشاملة .

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٤٢ .

الفصل الثالث

جماليات الصورة عند حيدر محمود والمعجم الشعري

المبحث الأول :

جماليات الصورة عند حيدر محمود

تعد الصورة الشعرية من أهم مقومات الشعر ، بل هي المقوم الأهم ، الذي يتفاضل فيه شاعر عن شاعر ، ويمكن أن نعد الصورة الشعرية اكتشافاً من اكتشافات الشاعر الذي يسجل باسمه ، ولا يحق لآخر أخذه والتعامل معه ، والصورة الشعرية تمثل إبداع الشاعر، وقدرته على الخلق والتجديد والابتكار .

وقد نالت الصورة الشعرية عناية الباحثين والنقاد قديماً وحديثاً ، فلا يكاد يخلو كتاب نقدي من التعرض للصورة الشعرية ، بالإضافة إلى الكتب التي قصرها أصحابها على موضوع الصورة الشعرية بشكل خاص .

ومن النقاد القدامى الذين اهتموا بموضوع الصورة الشعرية في كتبهم الجاحظ ، وابن قتيبة وابن طباطبا والعسكري والجرجاني وحازم القرطاجني ، ولقد ركّز القدماء في موضوع الصورة على التشبيه والعلاقة بين المشبه والمشبه به ، أمّا المحدثون فقد توسعوا في موضوع الصورة الشعرية فعالجوا موضوعات عديدة كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والتناص والرمز ، وتولدت لديهم الكثير من الصور الشعرية المحدثة التي أغنت الشعر العربي وأثرته .

وقبل أن نخوض في موضوع الصورة الشعرية عند حيدر محمود نتعرّض لأهم تعريفات الصورة الشعرية عند النقاد فالناقد إحسان عباس يعرّف الصورة الشعرية بأنّها " تعبير عن نفسية الشاعر ، وإنها تشبه الصورة التي تتراءى في الأحلام "[1] .

ونجد أنّ تعريف إحسان عباس يركّز على الجانب الانفعالي الداخلي ، ويتعلّق باللاشعور والعواطف المكنونة في النفس البشرية .

أمّا عز الدين إسماعيل فيعرّف الصورة الشعرية بأنّها " الشعور المستقرّ في الذاكرة الذي يرتبط في سرية بمشاعر أخرى ، ويعدّل منها ، وعندما تخرج هذه المشاعر إلى الضوء وتبحث عن جسم ، فإنّها تأخذ مظهر الصورة في الشعر "[2]

---

(١)عباس ، إحسان : فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٢، ١٩٥٥ص٢٣٩ .

(٢) إسماعيل ،عز الدين : الشعر العربي المعاصر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م، ص١٣٥ .

ويعرّفها صالح أبو أصبع بأنّها " تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيل لعلاقة بين شخصين يمكن تصويرها بأساليب عدة ، إمّا عن طريق المشابهة أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل "[١]

ويرى عبد القادر الرباعي أنّ الصورة الشعرية " تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو المقارنة بين عنصرين ، هما في أحيان كثيرة عنصر ظاهري وآخر باطني ، وإنّ جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين آخرين هما الحافز والقيمة ، لأنّ كلّ صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة "[٢]

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن أن نعرف الصورة الشعرية بأنّها عملية يقارن بها الأديب بين شيئين تربطهما علاقة ما وتقوم هذه الصورة على الخيال الذي يعيشه الكاتب ويتصوره .

" فالصورة الشعرية إذاً هي الرسم بالكلمات التي تتجلى فيها أحلام الشاعر وطموحاته ، وتكشف عن سحر الشعر ، وما يحمله من دهشة وجدّة ، فيجمع بين الفكر والشعور في وحدة عاطفية في لحظة من الزمن ، ويعبّر بها الشاعر عن المعاني العميقة التي تجول في نفسه " [٣] .

وتبرز أهمية الصورة الشعرية ووظيفتها في كونها وسيلة يلجأ إليها الأديب في إيصال أفكاره للآخرين بطريقة سهلة وممتعة ، وبدونها يصبح الكلام مجرّداً لا روح فيه ، والشاعر الأصيل هو ذلك الإنسان القادر على استحداث الصور وتوليدها لا مجرد نسخها ، لأنّ الصورة الشعرية تمثّل ذاتية الشاعر وشخصيته التي يتميز بها عن غيره.

والصورة الشعرية ليس غرضها إمتاع القارئ فحسب ، وإنّما إيصال المعنى بشكل واضح ودقيق والكشف عن مكنونات الشاعر وأحواله ، وتشكّل هي والإيقاع بنية القصيدة التي لا يمكن أن تتشكل دونهما .

ويقسّم الباحثون الصورة الشعرية وفق مجموعة من المعايير ، فبحسب البساطة .والتعقيد هناك المفردة والمركبة ، وبحسب الحاسة المرتبطة بها هناك البصرية والسمعية والذوقية واللمسية والشمية والحسّية أكثر الصور شيوعا في الشعر .

---

(١) أبو أصبع ، صالح : الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩،ص٣١ .

(٢) الرباعي ، عبد القادر : الصورة الفنية في النقد الشعري في النظرية والتطبيق ، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع ،ط٢، ١٩٨١م .

(٣) الشناوي ، علي الغريب محمد: الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي،رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ،٢٠٠٣ ص٣٠.

وللصورة الشعرية بمختلف أنواعها وتسمياتها حضور بارز في شعر حيدر محمود ، في شتى الموضوعات التي عالجها .

وسأقدم في هذا الفصل دراسة تطبيقية لنموذجين من شعر حيدر محمود ، أتعرض فيهما لجماليات الصورة عند حيدر محمود ، وقد اخترت أولاً قصيدة " الشاهد الأخير " التي نظمها الشاعر عام ١٩٨٥.يقول الشاعر :

"على من تنادي؟!
أيّهذا المكابد
ولم يبق في الصحراء
غيرك شاهد
لقد أقفرت إلا من الذلّ
أرضها
فكلّ نبات ، يطلع الرمل ، فاسد
وكل هواء
هبّ من جنباتها
مراء
وفي ذرّاته الحقد راقد
وليس دماً
هذا الذي في عروقها
ولا نسماً
هذا الذي يتوالد
ولا نبضها النبض الذي
تستفزه
ولا حوضها الحوض الذي
أنت وارد
وتلك الدمى
ليست رماحاً ، فتنتخي
ولا خيلها (يوم الطراد)
تطارد

بلى !! كانت الفصحى

نشيد شعابها

وكانت شموس المدلجين

القصائد

وقد كان

يا ما كان

سعف لنخلها

يظلّ

وسيف لا يفلّ

وساعد

ولكنّها هانت على النفط

وانحنت

لتسلم أموال لها

وفوائد!!!

على من تنادى ؟!

موسم النخوة انتهى

وسوق عكاظ بالبضاعة كاسد

فلا قول ..إلا قول رابين ...

داوياً

ولا فعل إلا فعله يتصاعد

ولا خيل ،

إلا خيله تملأ المدى

ولا ليل

إلا ليله والفراقد

له البحر والشطآن

والنهر والذرى

وتنساب إذ تنساب منه الروافد

له الزيت،

والزيتون،

والزهر ،

والندى ،

وما تشتهي أقدامه،

والسواعد

(وإنّا إليه راجعون !)

وكلّنا

أمام مداه الذابحات :

طرائد!!

وأنّى توجهنا ، فثمّ مخالب

وحيث مشينا

فالطريق... مصائد!!

فقل لبني قحطان

لا خربت لكم

بيوت

ولا انهدّت عليكم

قواعد

ولا احترقت بالنار

منكم ضفيرة

ولا ضاع مولود

ولا التاع والد!!

ولا خسرت يوماً ،

تجارة تاجر

ولا هبطت عن مستواها العوائد!!

وعمت صباحاً

(يا عباءات عزنا !)

ودمتم لنا طول المدى

يا أماجد!!

على من تنادي ؟!

والأذى يتبع الأذى

وأعداؤك النمل الذي يتزايد

فإمّا نجا من طعنة

جذع نخلة

بها تحتمي دبّت عليه المكائد

وإن هربت من غدرهم

نسمة بها حياتك

ردّتها الرياح الشوارد

تآمرت الدنيا عليك ، فما لها

سواك عدوّاً

تقتفي وتطارد

وقالوا :غريب في المكان

وطارئ

وقالوا : غريب في الزمان

وزائد

وقد حلفوا ألّا تكون

فكن كما

يشاء الفداء العبقري المعاند

وإيّاك أن تفنى

فثمّ جديلة

لها موعد آت

وأنت المواعد

حلفت لها بالشمس

والقدس

والضحى

وبالصلوات الخمس

أنّك عائد

فاقبل فتى

من غابة الجن برقه

ومن صخرة الإصرار

فيها الرواعد

واقبل قضاء

مستفزّاً ، وحاقداً

فكلّ الذي في الكون

ضدك حاقد

وكن منجلاً

مستأصلا كلّ زائد

فقد كثرت منّا

وفينا الزوائد

ومن لا يكيل الصاع صاعين

ميّت

ومن لا يرد الموت موتين بائد " [1]

يتألف النص السابق من مجموعة أبيات شعرية من الشعر العمودي ، ولا يوجد فواصل محددة بين المقطع والذي يليه ، وتقوم هذه القصيدة على قافية الدال المضمومة ، وقد تكررت هذه القافية ثلاث وثلاثون مرة ، وتشكل هذه القصيدة لوحة فنية رائعة تصف حال العرب وصفاً دقيقاً ، وقد تلاحمت هذه المقاطع الشعرية مع بعضها البعض ، حتى تصف حال العرب وواقعهم ، ولتكشف عن المشاعر الذاتية لحيدر محمود التي وصلت إلى درجة عالية من التشاؤم وانعدام الثقة من المجتمع العربي وقادته ، والخوف الشديد على مستقبل العرب وكينونتهم . وتتدرج أفكار القصيدة الفرعية تحت العناوين التالية :

الفكرة الأولى : تتمثل في فقدان الثقة بالعرب ، بعد أن وصلوا إلى الحال التي وصلوا إليها من تشتت وفرقة

على من تنادي

أيّهذا المكابد

ولم يبق في الصحراء

غيرك شاهد

---

(١) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ص ١١٧ .

فالصحراء العربية التي أنجبت أبطالاً ، ما عادت تنجب ، فنباتها فاسد ، وهواؤها مراء ، وذرّات رملها تمتلئ بالحقد .

الفكرة الثانية : تتمثل في عدم وجود قادة لهذه الأمة قادرين على السير بها وإيصالها إلى برّ الأمان .

وتلك الدمى

ليست رماحاً فتنتخي

ولا خيلها يوم الطراد

تطارد

فهؤلاء القادة في نظر الشاعر أشبه بالدمى ، التي تبدو أمام الناظر ذات منظر حسن ، ولكنّها لا تملك الحركة الذاتية ، وإنّما هي مسيّرة من قبل الآخرين ، ولا تملك هذه الدمى مقوّمات الحياة ولا سلاح المعركة " فبفضل التشبيه يستطيع الشاعر أن يقيم علاقات جديدة بين الأشياء، وهذه العلاقات تزيد جمال الشعر بما فيها من أيحاء التصوير، وتكوين في التعبير وجدّة وطرائفة بوسائله وصياغته"[1]

الفكرة الثالثة : تتمثّل في حديث الشاعر عن ماضي هذه الأمّة وعزّتها وقوّتها ، والتحسر على ذاك الماضي .

بلى كانت الفصحى

نشيد شعابها

وكانت شموس المدلجين

القصائد

فالفصحى تمثل اللغة القوية التي يحتكم إليها العرب كلّهم ، لا اللهجات المتعددة التي تفرق جمعهم ، واللغة القوّية مرآة لقوة العرب واتّحادهم في نظر الشاعر .

الفكرة الرابعة : تتمثل في ضياع المبادئ ، وتقبّل ضياع الأوطان مقابل فوائد مادية .

ولكنّها هانت على النفط

وانحنت

لتسلم أموال لها

وفوائد

---

(١) بسام ، احمد:الصورة بين البلاغة والنقد ، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع ،ص٤٥ ،ط١، ١٩٤٨ م .

فالنفط في نظر الشاعر نقمة حلّت بالعرب ، وليس بنعمة وهو المسؤول عن حال العرب وضياعهم .

الفكرة الخامسة : تتمثل في قوة العدو وهي القوّة التي منحناها إياه بضعفنا وتفرقنا .

فلا قول إلا قول رابين

داوياً

ولا فعل إلا فعله يتصاعد

ولا خيل

إلا خيله تملأ المدى

ولا ليل

إلا ليله والفراقد

وهذا العدو يملك كل شيء الأرض والبحر والجو ،

له البحر والشطآن

والنهر والذرى

وتنساب إذ تنساب منه الروافد

له الزيت

والزيتون

والزهر

والندى

وما تشتهي أقدامه

والسواعد

الفكرة السادسة : ويتحدث فيها الشاعر بسخرية واضحة عن أسباب وصول العرب للحال التي وصلوا إليها ، والمتمثلة بعدم الاستعداد لتقديم المال والجنود لتحرير الأرض والمقدسات

فقل لبني قحطان

لا خربت لكم

بيوت

ولا انهدّت عليكم

قواعد

ولا احترقت بالنار

منكم ضفيرة

ولا ضاع مولود

ولا التاع والد

الفكرة السابعة : وتتمثل في حثّ الشعب الفلسطيني على الصمود والمقاومة .

وإيّاك أن تفنى

فثمّ جديلة

لها موعد آت

وأنت المواعد

حلفت لها بالشمس

والقدس والضحى

وبالصلوات الخمس

إنّك عائد

وفي هذا المقطع تظهر ثقة الشاعر بشعبه الذي ظلّ محافظاً على حلم العودة وتمسكه بوطنه .

الفكرة الثامنة : وتتمثل في الدعوة إلى استخدام سبل المقاومة جميعها ، لتحرير الأرض والإنسان وترتيب البيت العربي الداخلي ، وخوض معركتنا الداخلية قبل الدخول في معركتنا مع عدونا الخارجي

وكن منجلاً

مستأصلاً كلّ زائد

فقد كثرت منّا

وفينا الزوائد

فالشاعر هنا يحث الشعب الفلسطيني والعربي على تنظيم أموره الداخلية قبل محاولة استرداد أرضه ومقدساته .

الصورة الشعرية

أ- التشبيه : ويعرفه الجرجاني بأنّه " تشبيه شيء بشيء ليدل على حصول صفة المشبه به في المشبه [1]

وأعرّف التشبيه بأنّه فن بلاغي يقوم على وجود علاقة بين طرفين أحدهما المشبه والآخر المشبه به ، وتكون هذه العلاقة أقوى في المشبه به .

وللتشبيه أهمية بالغة في الأدب تتمثل في تحقيق العنصر الجمالي في الأدب ، بالإضافة إلى ما يقوم به من نقل الصورة الحقيقية إلى صورة متخيلة أكثر جمالاً وقوة .

وتمتلئ هذه القصيدة بالتشبيهات المؤثرة ، ففي حديث الشاعر عن رابين وقوته يقول :

وكلّنا

أمام مداه الذابحات

طرائد

يشبه الشاعر العرب بالطريدة ، وإسرائيل التي يمثلها رابين بالمطارد الذي يطارد العرب حيث حلّوا

وأنّى توجهنا ، فثمّ مخالب

وحيث مشينا

فالطريق مصائد

وهذه الصورة في غاية البؤس والتشاؤم، فمقاليد العرب بيد رابين ، وهم لا يملكون من أمرهم شيئاً .

وفي قوله :

على من تنادي ؟

والأذى يتبع الأذى

وأعداؤك النمل الذي يتزايد

يصوّر أعداء الأمّة بالنمل إشارة إلى كثرتهم من جهة ، وسواد لونهم من جهة أخرى ، والسواد في نظر الشاعر يشير إلى القبح والدمامة .

وفي قوله :

---

(١) الجرجاني ، محمد علي : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، مكتبة الآداب ، مصر ، ١٩٩٧، ص١٥٢ .

وكن منجلاً

مستأصلا كلّ زائد

فقد كثرت منّا

وفينا الزوائد

يصوّر الشاعر المخاطب وهو الشعب الفلسطيني بالمنجل ، وهو أداة الحصاد ، ويطلب منه أن يزيل الزوائد من جسم أمّته ، لأنّها تشكل عدواً آخر فضلاً عن العدو الخارجي .

" ويتجلّى مناخ التردي والسقوط والهزائم ، وهو المناخ العام الذي يولد الغربة ونقيضها في هذه القصيدة ، فتأخذ الصحراء دلالة المكان العام الموضوعي ، فتحلّ الأنا الشعرية في ضمير المخاطب ، لتخفيف حدة معاناتها ، وتبدأ الإدانة على إيقاع بحر الطويل .

لقد أقفرت إلا من الذل أرضها فكلّ نبات يطلع الرمل فاسد

وكلّ هواء هبّ من جنباتها مراء وفي ذرّاته الحقد راقد

وتلك الدمى ليست رماحاً فتنتخي ولا خيلها يوم الطراد تطارد "[1]

ب – الاستعارة : ويعرفها الجرجاني في كتابه " أسرار البلاغة " بقوله " اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً، تدل الشواهد على أنّه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم ، فيكون هناك كالعارية " [2]

ويمكن تعريفه بأنه فن بلاغي يقوم على وجود لفظ معين في اللغة ، ومن ثم استعارته من قبل شاعر أو كاتب في غير ذاك الأصل .

والاستعارة قد تكون تصريحية أو مكنية أو تمثيلية ، ونجد الكثير من الاستعارات في هذه القصيدة فمثلاً قوله :

لقد أقفرت إلّا من الذل

أرضها

فكلّ نبات يطلع الرمل فاسد

---

(١)المصلح ، أحمد : الشعر الحديث في الأردن ، وزارة الثقافة ، ط١، ٢٠٠٤ .
(٢) الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة ، دار المدني ، جدة ١٩٩١، ص٣١ .

يشبّه الشاعر الذلّ بنبات ينمو في الصحراء ، ولا يسمح لغيره بالنمو والتواجد ، وحذف الشاعر النبات ، وأبقى له شيئاً من خصائصه ، وهو النمو على سبيل الاستعارة المكنية .

وفي قوله :

وتلك الدمى

ليست رماحاً فتنتخي

ولا خيلها يوم الطراد تطارد

يشبّه الشاعر القادة والزعماء بأنّهم دمى ، لا يملكون من أمرهم شيئاً فيحذف المشبّه وهو القادة ، ويصرّح بالمشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحية .

ج- الكناية وهي خلاف التصريح ، ويعرّفها الجرجاني بقوله " لفظ أريد به ملزوم معناه الوضعي من حيث هو كذلك " [1]

ويمكن تعريف الكناية بأنّها فنّ بلاغي يقوم على إيجاد لفظ أو تركيب لغوي، ليقوم مقام معنى معين .

وللكناية وظيفة جمالية تكسب المعنى رونقاً وجمالاً ، ووظيفة معنوية تؤكّد المعنى وتركّزه في نفس المتلقي .

ونجد أنّ الشاعر حشد الكثير من الكنايات في هذه القصيدة ففي قوله :

بلى كانت الفصحى

نشيد شعابها

وكانت شموس المدلجين

القصائد

(١) الجرجاني ، عبد القاهر : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، مرجع سابق ، ص٢١٦.

كناية عن عزّة الأمّة وقوّتها في الزمن الماضي ، فالفصحى في غالب الأحيان يشير بها الشاعر إلى القوّة والمنعة .

وفي قوله :

وقد كان

يا ما كان

سعف لنخلها

يظلّ

وسيف لا يفلّ

وساعد

كناية كذلك عن قوة الأمّة وشموخها ، فالنخل عند الشاعر يكنّي به غالباً عن العزّة والشموخ والقوّة .

وكذلك قوله في المقطع السابق :

وسيف لا يفلّ

وساعد

كناية عن القوّة وامتلاك أسبابها ومقوماتها ، فالسيف في نظر الشاعر كناية عن القوة والبأس .

وفي قوله :

على من تنادي

موسم النخوة انتهى

وسوق عكاظ بالبضاعة كاسد

كناية عن فقر العرب وضعف إمكاناتهم ، فأسواقهم التي كانت تمتلئ بالنفائس أصبحت كاسدة .

وفي المقطع التالي يحشد الشاعر لمجموعة كبيرة من الكنايات فيقول :

فقل لبني قحطان

لا خربت لكم

بيوت

ولا انهدّت عليكم

قواعد

ولا احترقت بالنار

منكم ضفيرة

ولا ضاع مولود

ولا التاع والد

ولا خسرت يوماً

تجارة تاجر

ولا هبطت عن مستواها العوائد

والقارئ للوهلة الأولى يحسب أنّ الشاعر يدعو للعرب ، ولكنّه في الحقيقة يسخر منهم إلى أعلى درجات السخرية ، فهم يريدون نصراً وتحريراً دون أن يقدّموا ضريبة التحرير ، وهي خراب البيوت وانهداد القواعد واحتراق الديار وضياع المواليد ولوعة الوالد وخسارة التاجر وقلة العوائد .

وفي قوله :

وإيّاك أن تفنى

فثمّ جديلة

لها موعد آت

وأنت المواعد

كناية عن المرأة التي وعدت بتحريرها وفكّ قيودها .

وفي قوله :

حلفت لها بالشمس

والقدس

والضحى

وبالصلوات الخمس

أنّك عائد

فالشمس كناية عن الوضوح والهدى والقوة كذلك ، والقدس كناية عن الشيء الثمين والنفيس ، والضحى كناية عن قرب زمن التحرير ، والصلوات الخمس كناية عن صدق اليمين لارتباطه بأفضل شعائر

الإسلام " وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن الصورة الفنية لا تثير في ذهن المتلقي صورا بحرية فحسب ، بل كثير صوراً لها صلة بكلّ الإحساسات التي منها نسيج الإدراك الإنساني ذاته . [1].

القصيدة الثانية

أيّوب يخرج من صبره

" حجر

ويكتمل البناء

وينتهي أيوب

من ثلج المنافي

****

حجر

وتطلع شمس أيّوب

التي سرقت جدائلها الفيافي

ويعود للعينين لونهما

وتصحو النار في جمر القوافي

أيّوب لم يصبر

كما يتوهّم الحكماء

عن جبن

ولكنّ السوافي

أسلمته

إلى السوافي

(١) عصفور،جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار المعارف القاهرة ، ص١٩٩٢،٣٤١ م .

في ظهره مليون سكّين

وفي رئتيه

آبار من السمّ الزعاف

****

ويداه موثقتان

والقدمان موثقتان

والدنيا على أيّوب

مطبقة بفكّيها

تريد حياته

****

ويريد موطنه المعشّش فيه

كالطير الخرافي

يفنى فيبعثه

ويفنى ثم يبعثه

فيمعن في محبته

ويحلف أن يوافي

****

وله إذا التقت الأصابع

كل ما يشتاق من فمه

ومن دمه

ومن نبض الشفاف

وله الذي يرضيه

من دمع على منديله

ومن اعتراف

وله بدايات الفصول

له بواكير القطاف

****

هو ذا الفتى المجبول

من طين الأسى

والجوع

والعطش المدمّر

والطواف

****

هو ذا الفتى الرقم الذي

لم يرثه أحد من الشعراء

حين قضى

يقوم من الردى

كفاه من لهب

ومن غضب

على كلّ الخراف

القانعين بأنّ وردتهم

ستخرج مثل بابا نويل

من حطب المدافي

****

لتعيد ذاكرة لهم

سلبت

وذاكرة ستسلب

لا ألومك يا يد الجزّار

لكنّي ألوم القابلين بذبحهم

مثل الخراف

****

حجر

ويحملك الزمان إلى زمانك

أيّها الحلم الذي وافى

وقد ظنّ العدى

أن لن يوافى

حجر

وتلتفّ الأكفّ

على ندى الكفّ التي سطعت

كوجه الله

في ليل المساكين

الملايين الضعاف

****

يا أيّها الموتى

ومن هم قاعدون على

طريق الموت

أكرم ضفة

فرشت ضفائرها لكم

فاستيقظوا

وامضوا إلى فرح الضفاف "[1]

****

من أجمل القصائد الحيدرية ذات الصور الجميلة ، قصيدة أيوب يخرج من صبره، فقد تزاحم في القصيدة الكثير من الصور الشعرية الجميلة ، التي حوّلت القصيدة إلى أشبه ما يكون بلوحة جميلة ، وقد استعار الشاعر شخصية سيدنا أيّوب ، وهي الشخصية الصابرة والمتحملة ، لإسقاطها على الشخصية الفلسطينية ، التي ظلت صابرة ومجاهدة ومتحملة للعدو الصهيوني ، الذي يحاول ثنيها عن صبرها ولكنّه لا يستطيع .

وتبدأ قصيدة " أيوب يخرج من صبره " ببث الأمل في النفس الفلسطينية ، التي ترزح تحت الاحتلال الصهيوني ، بأنّ وقت الانتصار قد آذن بالاقتراب ، وهو مسألة وقت لا أكثر ، ونبدأ بعرض اللوحات الموجودة في القصيدة لوحة لوحة .

اللوحة الأولى :

حجر ويكتمل البناء

وينتهي أيّوب

من ثلج المنافي

فقد صوّر مراحل النضال الفلسطيني في آخر مرحلة من مراحله ، فهو كالبناء الذي أوشك على الانتهاء ولم يبق منه إلا حجر واحد ، ويصف الحالة الصعبة التي عايشها الشعب الفلسطيني بأنّها نفي

---

(١) محمود , حيدر ، الأعمال الشعرية , ص ٨٥- ٨٧

وتشريد عن وطنه في ظروف مأساوية صعبة ، متمثلة بالبرد الذي يمثل في نظر الشاعر الأحوال السيئة جميعها .

اللوحة الثانية :

حجر

وتطلع شمس أيّوب

التي سرقت جدائلها الفيافي

ويعود للعينين لونهما

وتصحو النار

في جمر القوافي

ويكرر المعنى السابق نفسه ، ولكن بصورة أخرى جميلة ، فقد صوّر نضال الشعب الفلسطيني بأنّه في آخر لحظاته ، وانتهاء المعاناة التي يعانيها الشعب الفلسطيني تشبه طلوع الشمس ، مع ما تمثله الشمس من وضوح وهدى ونور ، والشمس في نظرة امرأة جميلة ، سرقت الصحراء جدائلها . ولكنّها في هذا الوقت عادت إلى بث شعاعها ليضيء للشعب الفلسطيني دربه .

اللوحة الثالثة :

أيّوب لم يصبر

كما يتوهم الحكماء

عن جبن

ولكنّ السوافي

أسلمته إلى السوافي

ويحدد الشاعر معنى الصبر الحقيقي ، وهو القدرة على التحمل ، ونقيضه اليأس والقنوط وسرعة الهزيمة ، والشعب الفلسطيني صبر وتحمل ولم يجزع ولم ييأس ، وهنا يشير الشاعر بسخرية إلى الذين يصفون العجز والجبن بالصبر، وهو ليس كذلك ، ويبعد الشاعر عن الشعب الفلسطيني العجز واليأس وإنّما هو القدرة على التحمّل في مواجهة العدو الصهيوني ، ويصوّر الشاعر المصاعب والمصائب التي حلّت بالشعب الفلسطيني بأنّها كالرياح والسوافي الشديدة ، التي تأخذ كل شيء يقف في طريقها .

اللوحة الرابعة :

في ظهره مليون سكّين

وفي رئتيه

آبار من السمّ الزعاف

ويداه موثقتان

والقدمان موثقتان

والدنيا على أيّوب

مطبقة بفكّيها

تريد حياته

يصور الشاعر العدو الداخلي للشعب الفلسطيني الذي دائماً يطعن الشعب الفلسطيني من الخلف بالسكين، وهو ليس سكيناً واحداً ، وإنما ملايين السكاكين دلالة على كثرة العدو ، ورئتا الشعب الفلسطيني ممتلئتان بالسم القاتل ، لا الهواء النقي ، ومصدر هذا السمّ هم أولئك الذين يطعنونه من الخلف ، وهم العرب في نظره ، ويصوّر الدنيا كذلك بحيوان مفترس ، يطبق فكيه على الشعب الفلسطيني يريد أكله .

اللوحة الخامسة :

ويريد موطنه المعشّش فيه

كالطير الخرافي

يفنى فيبعثه

ويفنى ثم يبعثه

فيمعن في محبته

ويحلف أن يوافي

والشعب الفلسطيني لا يريد سوى وطنه الذي هو بالنسبة إليه عشّه ، فهو كالطائر الخرافي الذي وصفته الأساطير بأنّه يموت ويبعث من جديد " فالخيال نشاط عقلي وروحي يعمل على جمع أشتات من الصورة المستدعاة لغاية المشابهة أو المنافرة ، لكنها تنظم بتأثير قوته وقوة الانفعال داخل نسق متحد منسجم " (١).

---

(١) البطل ، علي ، الصورة في الشعر العربي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ص٣٠ ،ط٢،١٩٨١ .

اللوحة السادسة :

وله إذا التقت الأصابع
كلّ ما يشتاق من فمه
ومن دمه
ومن نبض الشفاف
وله الذي يرضيه
من دمع على منديله
ومن اعتراف
وله بدايات الفصول
له بواكير القطاف

وهنا يقدم الشعب الفلسطيني لوطنه أغلى ما لديه ، دمه ونبضه ودمعه ، وله بدايات الفصول دلالة على أجمل الأوقات ، وله كذلك أول الثمر، دلالة كذلك على أجمل الأوقات وأفضل الفوائد ، وله الاعتراف الكامل بالمحبة والانتماء .

اللوحة السابعة :

هو ذا الفتى المجبول

من طين الأسى

والجوع

والعطش المدمر

والطواف

يصوّر الشاعر تركيبة الشعب الفلسطيني بأنّها تركيبة فريدة ، تختلف عن تركيبة أي شعب آخر فهي عبارة عن طين من أسى ، بالإضافة إلى الجوع والعطش وكثرة الطواف والهروب والترحيل وهي صورة جميلة ومعبّرة لما يعانيه الشعب الفلسطيني من ظروف بائسة .

" ووحدة الصورة هي بالضرورة وحدة الإحساس أو أهمية إحساس واحد على القصيدة كلها ، وعلى هذا فالوحدة العاطفية هي دليلنا على تحقيق الوحدة العضوية في العمل الفني [1] .

---

(١) العشماوي ، محمد زكي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار الشروق القاهرة ، ص٩٢ ،ط١،١٩٩٤ م .

اللوحة الثامنة :

هو ذا الفتى الرقم الذي
لم يرثه أحد من الشعراء
حين قضى
يقوم من الردى
كفّاه من لهب
ومن غضب
على كلّ الخراف
القانعين بأنّ وردتهم
ستخرج مثل بابا نويل
من حطب المدافي
لتعيد ذاكرة لهم
سلبت
وذاكرة ستسلب
لا ألومك يا يد الجزّار
لكنّي ألوم القابلين بذبحهم
مثل الخراف

يصور الشاعر الشعب بأنّه مجرد رقم لا أهمية له ، لم يرثه أحد عندما مات ، وكأنّ الجميع ينتظر لحظة موته بفارغ الصبر ، ولكنّه سرعان ما يبعث بعد موته ، في حالة غضب شديدة ليس على أعدائه فحسب ، وإنّما على كل المتخاذلين ، ويصوّر الشاعر كذلك المتخاذلين بالخراف التي تنتظر مصيرها من الهلاك دون أدنى مقاومة ، ويوجّه الشاعر نقده هنا إلى المتخاذلين من قومه الذين ارتضوا أن يكونوا فريسة سهلة للمحتل ، فالمظلوم في نظر الشاعر يتحمل المسؤولية أكثر من الظالم ، لأنّه مهّد لظلمه واستساغ هذا الظلم وقبله .

اللوحة التاسعة :

حجر
ويحملك الزمان إلى زمانك
أيّها الحلم الذي وافى
وقد ظنّ العدى
أن لن يوافي

ويصوّر الشاعر هنا إنهاء الاحتلال بأنّه أشبه ما يكون بالحلم صعب التحقق ، وقد ظنّ الأعداء باستحالة تحققه ، ولكنّه تحقق بإرادة الشعب الفلسطيني وجهاده .

اللوحة العاشرة :

حجر
وتلتفّ الأكفّ
على ندى الكفّ التي سطعت
كوجه الله
في ليل المساكين
الملايين الضعاف

يصوّر الشاعر الشعب الفلسطيني بالكفّ الندية ذات الخير الوفير، وقد التفّت حولها الأيادي ويصوّرها كذلك كالشمس التي سطعت بليل المساكين الضعاف ، وأنارت طريقهم .

اللوحة الحادية عشرة :

يا أيّها الموتى
ومن هم قاعدون على
طريق الموت
أكرم ضفة
فرشت ضفائرها لكم
فاستيقظوا
وامضوا إلى فرح الضفاف

ويصور المتخاذلين بأنّهم موتى ، وبأنّهم جالسون على طريق الموت ، والموت ينتظرهم لتواكلهم ويصور فلسطين التي هي أكرم ضفة بفتاة ، وقد فرشت شعرها لهؤلاء حاثّة إيّاهم أن يجاهدوا لأجلها وأن يمشوا في الطريق المؤدية إليها ، لا أن يظّلوا واقفين على طريق الموت .

" ومن أهم ما يميز الصورة أنها سبيل للتوحد بين الداخل والخارج ، بين الذات والموضوع ،بين الفعل والانفعال ، وهذا يجعلها مسرحاً رحباً تجتمع على أرضيته أكثر المشاعر الإنسانية خصوصية وعالمية في وقت معاً" (١)

وهكذا نجد أنّ الشاعر حشد لمجموعة كثيرة من الصور الفنية الرائعة التي شكلت لوحة فنية جميلة ومن خلال تتبع الصور الشعرية عند حيدر محمود ، نلاحظ أنَها اتسمت بالبساطة من جهة ، والابتكار من جهة أخرى ، فهي ليست اجتراراً لصور نمطية قديمة جامدة ، بقدر ما كانت صوراً حية نابضة بالروح والحياة ، وهي صور من واقع الحياة اليومية التي يعيشها الشاعر لذا كانت هذه الصور واضحة لا تعقيد فيها .

(١) الرباعي ، عبدالقادر ، الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى ، دار العلوم للطباعة والنشر ، اربد ص ٩٢ ، ط١، ١٩٨٤ م .

المبحث الثاني :

حيدر محمود والمعجم الشعري

لكلّ شاعر معجم شعري ، أي مجموعة من المفردات التي يكثر من استخدامها ، إلى الدرجة التي يصبح فيها للمفردة الشعرية معنى خاص بالشاعر ذاته ، وقد يتفق هذا المعنى مع غيره من الشعراء ، وقد يختلف ، والقارئ لأشعار حيدر محمود يستطيع تتبع هذا المعجم الشعري ، ويعرف مفرداته ودلالاته وهي مفردات يمكن تقسيمها إلى نوعين : الأول : المفردات الإيجابية التي تحوى معنى خيّراً وهي كثيرة ومنها:(الصعلوك وسعف النخيل وتأبّط شرّاً والسيف وصلاة الضحى والنشمي والزعتر والدحنون والحنا والزيتون والقمح والسنابل والدفلى والشيح والحمام المهاجر والغمام المسافر والسندباد والفصحى)

والثاني : المفردات السلبية التي تحوي معنى سيئاً في ذهن الشاعر وهي كثيرة ، ومنها: (الإسفنج والحيتان والثلج والسكين والصليبيون والطين والدكاكين والخريف والنفط والموج والدمى والنمل والملح والريح والجراد) وسندرس مجموعةً من المفردات المنتمية إلى معجم الشاعر ونتعرف على دلالاتها في قصائد حيدر محمود .

لقد جعل الشاعر حيدر محمود رمزاً لكلماته المعجمية ، فكلّ كلمة توحي لرمز معين ودلالة خاصة ومعنى ذلك أنّ شعر حيدر محمود حافل بالرمز ، ومحمّل بالإشارات والإيحاءات نتيجة لغنى معجمه الرمزي ، ويعد الرمز أهمّ وسائل التعبير بين أدوات الشاعر وأكثرها عمقاً ، والرمز لا يتنافى مع بساطة لغة الشاعر ووضوحها لأنّ الشاعر اعتمد نوعاً واضحاً وبسيطاً من الرمز وابتعد عن الرمز المعقد .

وللرمز تعريفات مختلفة ، تختلف باختلاف المنطلقات التي تنطلق منها وأن كان معظمها ينطلق من وظائف الرمز باعتباره أداة شعرية مهمة .

والرمز في اللغة : " كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ ، بأيّ شيء أشرت إليه ، بيد أو بعين ، ورمز إلى الشيء بكذا دل به عليه " [1]

---

١) ابن منظور : معجم لسان العرب ، مادة (رمز) ، الجزء السادس.

واصطلاحاً : يعني الرمز : " وسيلة فنية لغوية متّبعة ، تحمل وظائف جمالية للتعبير عن ذات الشاعر ، عن طريق الغوص في الأعماق النائية عن التحديد أو التسطيح ، مما يتيح للدارس النفاذ إلى أعماق النص لإدراك أبعاده الغائرة والمتعددة " [١]

ويعدّ الرمز أداة جمالية يوظّفها الشاعر لغاية معينة تنقل النص الأدبي من سياقه المباشر إلى سياق أكثر عمقاً وأكثر دلالة .

النخيل

من الكلمات التي تكررت في شعر حيدر محمود ، ومن مشتقاتها النخل وسعف النخل والنخيل والنخلة ، ومن خلال تتبع المعنى الذي أراده الشاعر لها وجدناه يندرج تحت دلالتين : دلالة الخير والخصب ، ودلالة العزّة والشموخ .

يقول في سبيل المقارنة بين حال الأمة الآن ، وحالها في الماضي حيث القوّة والمنعة ، فالنخيل كان يمثّل قوّة الأمّة وظلّها الدائم .

... وقد كان ،

(يا ما كان !)

سعف نخيلها ،

هو السعف ،

والظلّ الظليل ،إهابها! [٢]

والنخيل يمثل الخير الذي تحويه هذه الأمّة ، ولكنّ هذا الخير بدأ بالنفاد ، لانّ العرب لا يستطيعون استغلاله . لذا لا يستحقونه .

" مات النخيل الذي فيها

فلا عذق

وجفّ ماء سواقيها

فلا ... بلل ! [٣]

---

١) الشطي ، سليمان ، الرمزية في أدب نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،٢٠٠٤،ص٦ .
٢) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص٤٢ .
٣) المصدر السابق ، ص٨١ .

والنخلة بالنسبة إلى العربي هي الملجأ والملاذ الذي يحتمي به العربي من أعداء الداخل والخارج .

" فإمّا نجا من طعنة

جذع نخلة

بها تحتمي ، دبّت عليه المكائدُ [١]

والنخل يمثل العربي العزيز الذي يرفض الذلّ ، ولا ينحني لغيره ،

من مثل سعفك ، يا نخلة

ولدت لتقاتل

يا نخلة

لم تزل فارعة ! [٢]

والنخل كذلك يمثل الثروات العربية المستنزفة من قبل الأعداء في الداخل والخارج .

هنا يلد الرمل

رملاً . ونملاً

يمصّ دم النخل

(آخر ما ظلّ من شرف الأصل) [٣]

والنخل كذلك يمثل الخير والخصب مقابل الفقر والحاجة .

" هزّي جذع النخلة

تسقط جدران الظلمة

يبارك مجد الرب ، الكلمة! [٤]

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٧ .
(٢) المصدر نفسه , ص١٤٠ .
(٣) المصدر نفسه , ص١٦٠-١٦١ .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٣ .

والنخيل بمثابة السيوف التي تبقى واقفة مدافعة عن العرب

صحراء ... إلا أنّ سعف نخيلها

قضب ، يعزّ على الدخيل .. منالها " [١]

والنخيل يمثل فردوس العرب المفقود وكرامتهم المهدورة

مات كلّ النخيل فينا ، ولكن

نخيل العراق بعد ولود

كلّما قصّت المقصات عنقوداً

تدلّى من سعفه عنقود " [٢]

" وموت النخيل في الحقيقة هو موت قلوب العرب ، الذين اهتمّوا بمصالحهم الشخصية دون الالتفات لمصالح العرب وهمومهم ، ويبقى النخيل يرمز لكلّ مفقود وغال " [٣].

صلاة الضحى

تكرّرت مفردة (صلاة الضحى) مرات عديدة في شعر حيدر محمود ، وقد جاءت مرتبطة في معظم قصائده بالأمل والنصر المرتقب ، حيث دخول صلاح الدين الأيوبي القدس محرّراً وقت صلاة الضحى .

أتذكر ؟!

يوم صلّيت الضحى

ولثمت خدّ جبينك الطاهر؟!

وأقسمت السيوف له

به ... ألّا تدنسه ،

يدا .... غادر ... [٤]

---

(١) المصدر السابق ، ص٣٢١ .
(٢) المصدر نفسه , ص٣٧٤ .
(٣) البعول ، فاطمة : المكان في شعر حيدر محمود ، رسالة ماجستير ، اليرموك ، ٢٠٠٦.
(٤) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ،ص٥٦

ويتساءل الشاعر بحرقة عن المحرر الجديد الذي سيحرر القدس ، أمّا التوقيت في نظر الشاعر فهو نفس التوقيت ، صلاة الضحى .

من .... سيردّ إليها الحياة ؟!

من تراه سيبدأ أولى الخطى

نحوها

ويقيم صلاة الضحى

في محاريبها

من ترى ، سيعيد إلى

وجهها النبوي .... بهاه !؟ (١)

ويصل الأمر بالشاعر إلى القسم بصلاة الضحى ، نظراً لأهميتها وكونها الزمن الذي تحرر الأقصى به فهي تاريخ يستحق الحفظ .

حلفت لها بالشمس ،

والقدس ،

والضحى ..

وبالصلوات الخمس ..

أنّك عائد .. (٢)

وينتظر المسلمون محرر القدس في كل يوم وقت صلاة الضحى ، ليعيد الأقصى إلى أمّته كما فعل صلاح الدين .

ترجّلت قبل الأوان

لماذا ترجّلت

كنّا على موعد لصلاة الضحى

وانتظرناك،

مرّ النهار الحزين .... بغير أذان !

ونام على جرحه الجرحُ (٣)

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٥ .
(٢) المصدر نفسه , ص ١١٨.
(٣) المصدر نفسه , ص ١٦٨ .

ويقول أيضا :

وكنّا على موعد لصلاة الضحى

عندما صادروا الصوت

فالحزن أطول من صمتنا

والمسافة بيني وبينك

مزروعة بالأماني! [١]

النشمي :

" وقد تكرّرت مفردة النشمي بدرجة كبيرة ، وهي مأخوذة من المعجم الشعبي الأردني ، وهذه اللفظة عند حيدر محمود أطلقها مرات عديدة على الأردنيين دون سواهم ، ولم تطلق على الجندي الأردني فحسب ، وإنّما أطلقها على كلّ أردني : عسكري ومدني ، وهي من الصفات المحبّبة التي دارت على لسانه أكثر من مرة ، ولا سيّما في ديوانه شجر الدفلى على النهر يغني " [٢]

يقول واصفاً الأردنيين بأنّهم نشامى :

" قد رسمناك على الدفلى،

وقامات السنابل

غابةً للأعين السود ،

وحقلاً من جدائل

وأقمنا لك ،في بال المواويل ،

منازل

فاكتبي أسمائنا

في دفتر الحب : نشامى

يعشقون الورد ، لكن

يعشقون الأرض أكثر! [٣]

---

(١) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية، ص١٦٩ .

(٢) المجالي ، محمد : الشاعران حيدر محمود ونزار قباني ، مرجع سابق ، ص٢٧ .

(٣) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص١٧٧ .

ويكرّر هذا المعنى بقوله :

واكتبي بالسيف ،

والفأس ،

على خدّ النجوم :

أنّ أبناءك مزروعون

في الأرض ... نشامى" [١]

وهذه اللفظة تشمل الأردنيين كلّهم بغض النظر عن لونهم ودينهم ومنبتهم :

" شجر الدفلى على النهر يغني

باسمه

والغار... والمجد... يغني

والنشامى الأردنيون ، حواليه

سهولاً ، وجبالا .. [٢]

والأردن هي دار ووطن ومنبت للنشامى :

بك يا دار نتباهى

يا ترابا قد زرعناه عيوناً

وشفاها

وملأناه قلوباً

وجباها " [٣]

ويصف النشامى الأردنيين بأنّهم رحماء بينهم أشدّاء على أعدائهم :

" والأردنيون النشامى :مهجة

رقّت ، ولكن في الوغى استبسالها ! [٤]

---

(١) المصدر السابق ، ص١٧٨ .
(٢) المصدر نفسه , ص١٨٠ .
(٣) المصدر نفسه ,ص١٨١ .
(٤) المصدر نفسه , ص ٣٢٢ .

الزعتر

ثم تتكرّر عبر سطور دواوين الشاعر لفظة الزعتر ، والزعتر يرتبط في وجدان الشاعر بذكرى الأرض ورائحتها الطيبة ، بل هو يعادل لديه الهوية التي تحمله دوماً للحنين إلى الأرض .

فالزعتر يمثل انتماء الأردنيين لوطنهم وتعلّقهم به ، كما يتعلّق الزعتر بشقوق الصخر وينمو .

" يا بلادي

مثلما يكبر فيك الشجر الطيب

نكبر

فازرعينا ..... فوق أهدابك

زيتوناً .... وزعتر" (١)

والزعتر يمثل رائحة الأرض المفقودة ، والهوية الضائعة التي يبحث عنها الشاعر ،

ليرجع ..... هذا ((الوطن المتخم))

للجوع وللعري ، وللأعشى

يستجديه قصيدة شعرٍ

ترجع للصحراء بكارتها

وتعيد لهذا الرمل ،

الغارق في الذلّ ،

اللون ، وذاكرة العيس

ورائحة الزعتر

والحنّا " (٢)

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٦.
(٢) المصدر نفسه ، ص٢١١ .

ويتألّم الشاعر بسبب انقطاع الأمة عن تاريخها وهويتها،وبحثها عن هوية جديدة لا تلائم حالها :

من يعرف أسباب الشحّ ؟!

لأنّ القرية ، كبرت جداً،

مدّت ، فوق تلال العشب ،

شوارع ... ودكاكين

واقتلعت أشتال ((الخبيزة))

والزعتر.... والدحنون!

لتقيم عليها أعمدة التلفونات

وأنتينات التلفزيون!! [١]

الصعاليك :

الصعلوك لغة :" الفقير الذي لا مال له ، وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك .قال حاتم الطائي :

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى فكلاً سقانا بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغياً على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر " [٢]

أمّا اصطلاحاً فهو " إنّ الصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة ، ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه أو يتكل عليه ليشق طريقه فيها ، ويعينه عليها حتى يسلك سبيله كما يسلك سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة ، ويواجهون مشكلاتها يداً واحدة " [٣]

و يمكن القول أنّ الصعلوك هو الإنسان الذي اجتمعت فيه صفتا الفقر والعوز والحاجة من جهة ، وصفة الضياع والبؤس والتشرد من جهة ثانية .

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٢٥ .
(٢) ابن منظور : معجم لسان العرب ، مادة (صعلك)، دار صادر , بيروت , ط٤, ٢٠٠٥م .
(٣) خليف ، يوسف : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٦،ص٢١ .

" وقد اتّسع معنى الصعلكة تدريجياً في العصر الجاهلي ، حتى أطلقت على جماعة من الفتيان في الجاهلية الذين خلعتهم قبائلهم وتبرّأت منهم لسواد أمهاتهم أو سواد وجوههم ، فلمّا رأوا أنفسهم منبوذين نظموا أنفسهم في جماعات ، وسمّوا أنفسهم بالصعاليك "[1]

تكررت كلمة الصعاليك بأشكالها المتعددة (الصعلوك ، الصعلكة ، الصعاليك) كثيراً في شعر حيدر محمود ، وقد سمّى بعض القصائد بهذه المفردات ، كقصيدة نشيد الصعاليك ، وقصيدة تأبّط شراً الذي ينتمي إلى فئة الصعاليك ، وقصيدة وجه آخر للصعلكة ، وذكره للشنفرى الذي هو أحد أفراد هذه الفئة ، والصعاليك هم فئة اجتماعية عاشت في العصر الجاهلي ، وقد تمرّدت على تقاليد القبيلة الاجتماعية القائمة على أساس الدم ، وأسّست منظومةً أخرى قائمة على أساس العدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق الطبقية بين الناس ، وأحياناً اللجوء إلى السلب والنهب من الأغنياء ، وتوزيع المنهوب عل الفقراء ، كما هو الحال في ظاهرة عروة بن الورد العبسي .

والمتّتبع لهذه المفردة في شعر حيدر محمود يلاحظ الأساس الإيجابي لهذه المفردة بالمجمل ، فقد وردت مرات عديدة للحضّ والحثّ على الثورة على الأنماط الاجتماعية السلبية ، وتأسيس مجتمع آخر قائم على المساواة والعدل بين أفراده .

ففي قصيدة نشيد الصعاليك يشير الشاعر إلى مثالب المجتمع الذي يعيش فيه، حيث الظلم والنفاق الاجتماعي والمحسوبية ، يقول مخاطباً عراراً في ذكراه الأربعين .

فلا تلم ، شعبك المقهور ، إن وقعت

عيناك فيه ، على مليون سكران!

قد حكّموا فيه أفّاقين .. ما وقفوا

يوماً بإربد ، أو طافوا بحسبان!

ولا بوادي الشتا ناموا ، ولا شربوا

من ماء ((راحوب))... أو طافوا بحسبان! [2]

فهؤلاء دخلاء على هذا الوطن ، وليسوا أصلاء فيه ، إذ لو كانوا أصلاء فيه لما استباحوا أرضه ونهبوا خيراته ، ويعقد الشاعر مقارنة بين الوطني الأصيل الذي هام بتراب الوطن ، ووقف على أطلاله ، وتشّرب من مياهه ، وهؤلاء الأجانب الطارئين عليه الناهبين خيراته .

---

(١) أبو زيد ، سامي وذيب ،منذر : الأدب الجاهلي ، دار المسيرة ، ط١، عمان ، ٢٠١١،ص٢٧٧.
(٢) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص. ٩١

واليوم الذي ينتصر به الصعاليك الوطنيون على الدخلاء قريب آت لا محالة .

" وللصعاليك يوم يرفعون به

راياتهم ، فاحذرينا يا يد الجاني " [1]

وقد اختار الشاعر شخصية عرار الذي يعده رمزاً للتمرد والرفض ، ففي القصيدة الإربدية يشير إليه ، مبيناً دوره في رفض الظلم ، وإنّ حيدر محمود الشاعر سوف يسير على طريقه ونهجه في مقاومة الظلم والثورة عليه.

أمّا تأبّط شراً فهو شخصية تنتمي إلى عالم الصعاليك ، وهو لقب اشتهر به ، واسمه ثابت بن قيس الفهمي ، وقد تم انتقاء هذا الصعلوك بدقّة ، لأنّه يحمل من اسمه كلّ محمل ، فهو ذلك الإنسان الثائر الأبيّ الذي لا يصبر على الذل والضيم ، وإنّما يثور من أجل مبادئه وقيمه ، وكأنّ الشاعر في استعارته لهذه الشخصية ، يفتقد هذه الشخصية في مجتمعه ، فلا نجد من يشبه تأبّط شرّاً ، وإنّما كلّ أفراد المجتمع راضون بهذا الواقع الاجتماعي السيئ ، لذلك يتمنّى الشاعر أن يلد المجتمع شخصية كشخصية كتأبّط شرّاً الثائرة .

ونعلّمهم شعر تأبّط شرّاً

وننّمي فيهم حسّ الصعلكة

المتمرّدة على الأشياء

فعسى أن يتأبّط

ولد عربيٌّ .. ما

في بلد عربيٌّ... ما

في زمن عربيٌّ... ما

شرّاً

ويغيّر وجه الصحراء !! [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

ويحثّ العرب على الثورة على هذا الواقع المظلم ، والابتعاد عن الطيبة التي لا يفهمها أعداؤنا .

قتلتنا طيبتنا!!

فمتى نتخلّص من هذا المرض

الملعون ؟!

ومتى؟!

((نتأبّط شرّاً))

وتكون السنّ بألف فم ،

والعين .. بمرج عيون !! [١]

وترد كلمة الصعلكة بمعنى سلبي أحياناً ،عندما يصف الشاعر زمنه هذا بأنّه زمن الصعلكة .

" يأتي زمن صعلوك

يتخلى فيه قلبك عنك

ويعلن ألّا دخل له

بلسانك... فوك ![٢]

وفي قصيدة أخرى يهاجم الصعاليك ويعرّض بهم ، لأنّهم باعوا مبادئهم من أجل المال ، وتخلّوا عن أفكارهم ، ورجعوا لأفكار القبيلة الرجعية واستسلموا للسلطة .

فالصعاليك

بعد اكتشاف الدم الأسود

استسلموا للقبائل

واستبدلوا الجمر بالخمر

واختلفوا:

أيّ قافية ،

يمتطون إلى صاحب الأمر ،

والخيل هاجعة

أو ... مضاجعة

والمروءات .. مستنكفة! [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص٥٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٣ .
(٣) المصدر نفسه ،,ص ١٣٤

" وإذا استسلم الصعاليك بفعل اكتشاف النفط للقبائل ، فهذا يعني خمود روح التمرد والثورة . وخضوعها للمستفيدين من النفط في الوطن العربي ، بعد أن عمل النفط ما عمل بالنفوس " [١]

" وقد جعل الشاعر من مفردة الصعاليك قناعاً يتكئ عليه ، ففي قصيدة (محاولة اعتذار لعرار) مثال للقناع في الشعر الحيدري ، فالشاعر منذ عنوان القصيدة يعلن ساخراً: أنّه سيهادن ويترك التمرّد . ويسلك غير سلوك الصعاليك ، فعرار رمز التمرد ، ومنذ مستهل القصيدة يعلن الشاعر أيضاً أنّه سيلجأ للرمز ، ليفهم المتلقي أنّه سيمعن في الشغب " [٢]

السكين

أشار الشاعر إلى كلمة السكيّن بشكل كبير ، ويمكن القول أنّها أكثر الكلمات تكراراً عند حيدر محمود ، ومن خلال تتبّع دلالة الكلمة وجدناه يعني بها العدو الذي يواجه الأمّة العربية ، وخاصة العدو الداخلي الذي هو في نظره أشدّ فتكاً من العدو الخارجي ، لأنّ العدو الخارجي مكشوف وظاهر للعيان . ويمكن مقاومته ، أمّا العدو الداخلي فهو متستّر ولا يظهر ، ومن الصعب مقاومته ، يقول مشيراً إلى كثرة السكاكين وكثرة الأعداء وهو ليس من قبيلة قوية تحميه كقبيلة مازن العربية التي يشار إليها بالقوة والمنعة .

جسدي

واحد

والسكاكين مختلفة

وأنا

لست من مازن

فاستبيحوا الذي تستبيحونه !

واذبحوني على مهلٍ

وانثروني على الأرصفة" [٣]

---

(١) ربيع ، إيمان : ثنائية الأرض والإنسان ، ص٣٦ .
(٢) المرجع السابق : ص١١٩ .
(٣) محمود ، حيدر : الأعمال الشعرية ، ص١٣٣ .

وأحياناً تكون السكاكين هي أداة المقاومة التي يمتلكها الشعب الفلسطيني للدفاع عن أرضه وعرضه .

فاقتحمي (يا جدائل أمّي)

جدائل كلّ النساء ..!

واستبيحي الذين استباحوك ،

لا ترحمي أحداً

من جنون سكاكينك الجائعة ..!

إنّها اللغة الرادعة" [١]

وفي موضع أخر يشير إلى أنّ العدو الداخلي أسوأ بكثير من العدو الخارجي .

" وأمضى السكاكين ... أقربها

وأمضّ الجراح التي في الجفون ! [٢]

الدكاكين

يكرّر الشاعر لفظة الدكاكين في أشعاره للدلالة على المصلحة الفردية الضيقة التي تحكم بعض أفراد المجتمع ، وقد اختار هذه المفردة بالذات ، وهي صيغة منتهى الجموع للدلالة على كثرة الأفراد والفئات الذين يجرون وراء مصالحهم الخاصة ، على حساب المصلحة الوطنية العامة ، واختار كلمة الدكان لما تحويه هذه الكلمة من معنى دال على ضيق الأفق ، فالدكان لا يحوي إلا بضاعة محدودة ولكنّهم مع ذلك يفضلون مصلحتهم الذاتية التافهة على المصلحة العامة المعتبرة .

وكثيراً ما تذكر كلمة الدكاكين مقرونة بقضية فلسطين ، للدلالة على طبيعة العلاقة التي تربط الأنظمة العربية بقضية فلسطين ، وهي العلاقة القائمة على المتاجرة بهذه القضية والعيش عليها ، وهم حريصون على بقاءها وديمومتها .

" لقد أرادوه حياً

لا حياة به

وقد أرادوه ميتاً

غير مدفون

---

(١) المصدر السابق ، ص١٤١.
(٢ المصدر نفسه ،ص١٦٣.

حتى تظلّ الدكاكين التي انفتحت

على عذاباته:

ذات الدكاكين !! [١]

وتأتي اللفظة أحياناً بصيغة المفرد ، للدلالة على تفاهة المكان وضيقه وضيق أفقهم .

لا يخجلون وقد باعوا شواربنا

من أن يبيعوا اللحى

في أيّ دكان " [٢]

وكما قلنا فالدكاكين صيغة منتهى جموع ، وتدل على الكثرة ، إلى الدرجة التي لا يستطيع فيها الشاعر حصرها .

نحن يا أقصى كثيرون

كثيرون ..... كما الهمّ

ولكنّ الدكاكين كثيرة

والسكاكين التي تلمع في الأيدي

كبيرة! [٣]

وأحياناً تمثل الدكاكين نمط الحياة المعاصرة الذي قضى على البيئة الطبيعية من عشب وأشجار.

من يعرف أسباب الشحّ؟!

لأنّ القرية ، كبرت جدّاً،

مدّت ، فوق تلال العشب،

شوارع ...ودكاكين

واقتلعت أشتال الخبيزة

والزعتر .. والدحنون ! [٤]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠-٧١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٩٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٤-١٠٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ .

الحيتان

وردت كلمة الحيتان في الكثير من قصائد حيدر ، وقد استلهم دلالة هذه اللفظة من المعجم الشعبي الأردني ، ويقصد بالحيتان جماعات النفوذ والسيطرة المتحكمين بأرزاق الفقراء وأقواتهم ، وقد تكون هذه الجماعات ذات نفوذ سياسي أو اقتصادي .

يقول في معرض المقارنة بين موت أحد هؤلاء الحيتان وموت أحد عامة الشعب :

لو أنّ واحداً من الحيتان ، مات
حدّت الحيتان كلّها ،عليه
وسار من وراء نعشه
المنافقون
بوّسوا خديه
وحنّطوا في متحف الرضى،
قميصه
وحنّطوا نعليه" [1]

والحيتان سيقفون بكل ما أوتوا من قوة في سبيل المحافظة على الوضع الراهن ، القائم على المحسوبية والطبقية والاستغلال .

هذا عصر السحر
يكفي أن تغلق عينيك
لتعرف أنّ دماغك ، في قدميك
وأنّ الأرض على كتفيك
فإذا ما حرّكت يديك ،
(لتشعل سيجارة)
هاجت كلّ الحيتان ، ونادت:
يا موسى .... لا تضرب بعصاك البحر
فلن ينشق

---

(١) المصدر السابق ،ص٢٤٢ .

ولن ينقض الطوفان

لا تلق عصاك

لئلّا تلقفها الحيات ! [١]

النفط :-

يشكل النفط في العالم العربي مصدراً كبيراً للدخل القومي ، وخاصة في الدول النفطية ، ولكن هذه النعمة ليست إلا نقمة في نظر الشاعر، لأنّ العرب لم يسخّروها في خدمة قضاياهم ، وإنّما كان النفط سبباً في تخلفهم وتراجعهم وتشتتهم في نظر الشاعر .

يقول الشاعر إنّ جلّ اهتمام الدول النفطية هو بقاء نفطهم وتجارتهم ، وليس لهم همّ آخر وقضية أخرى كفلسطين التي هي ليست في سلّم أولوياتهم .

كفى انتظاراً

لكذّابين ليس لهم

قضية ، غير أن تبقى

لهم دولُ!

وأن يظلّ لهم نفطٌ

ولو غرقوا به

ولو بلظى نيرانه

اشتعلوا !! [٢]

ويعيب على قادة هذه الدول عدم تسخير النفط من أجل قضايا العرب المصيرية .

لو كان عندي

بعض ما عند أخي نفطان

من مال وأرصدة

كنت اشتريت الأمم المتحدة

بكل ما فيها من الغابات والأدغال" [٣]

---

(١) المصدر السابق ،ص ٢٩٨-٢٩٩ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٨١-٨٢ .
(٣) المصدر نفسه , ص١٠٧ .

وأصحاب هذه الثروة قد تخلّوا عن مبادئهم وقضاياهم من أجل مصالحهم الذاتية ، ومن أجل سوق نفط رائجة .

ولكنّها هانت على النفط

وانحنت

لتسلم أموال لها

وفوائد !!! [١]

وحتى أصحاب المبادئ قد تخلّوا عن مبادئهم في سبيل تجارتهم النفطية ،

والصعاليك

بعد اكتشاف الدم الأسود

استسلموا للقبائل

واستبدلوا الجمر بالخمر

واختلفوا

أيّ قافية

يمتطون إلى صاحب الأمر " [٢]

والنفط ثروة مسروقة ومنهوبة من قبل الآخرين وخاصّة الغرب الذين لا يبقون لنا منه شيئاً .

ونأخذ منهم البترول صفواً

ونبقيه لهم كدراً وطيناً !! [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص١١٤ .
(٢) المصدر نفسه , ص١٣٤ .
(٣) المصدر نفسه , ص١٤٢ .

ويصوّر العلاقة بين العرب والغرب بطريقة سخرية واضحة في أنّ العلاقة بين الطرفين ليست علاقة أخوة وإنسانية ، وإنّما علاقة نفط ومصلحة ،

لا النفط بغيتهم

ولا الذهب المكدّس في الخيام

بل إنّه الحب العفيف

وإنّها ... نار الهيام ! [١]

ويصل الأمر إلى اعتبار هذه الثروة سلاح يقتل به العرب أنفسهم .

" كاسك يا وجعي

ولغيركم الثمرات

والناقلات التي تحمل النفط

للطائرات التي تتسلى بلحم فلسطين " [٢]

والنفط بالنسبة للشاعر نقمة - وأيّ نقمة - يتمنى زوالها ،

" يا كثبان الملح

ويا آبار النفط احترقي

وليرجع هذا الوطن المتخم

للتمر" [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص١٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ,ص١٦٢ .
(٣) المصدر نفسه ,ص٢١٠ .

النمل

تكررت كلمة النمل في دواوين حيدر محمود ، ومع أنّ النمل يشكل مملكة منظمة ومجتهدة ، وله في التصور الإنساني الكثير من الاحترام ، لكنّ حيدر محمود أضفى على الكلمة بعداً سلبياً ، فالنمل في نظرة رديف للفئة الكثيرة الجاهلة غير الواعية من جهة ، ومن جهة أخرى تدلّ على كثرة الأعداء وكثرة تناسلهم .

يقول الشاعر مستكثراً من أعداء الأمة ، وخاصّة أعداء الداخل :

على من تنادي ؟!

والأذى يتبع الأذى

وأعداؤك النمل الذي يتزايد " [١]

ويشابه الشاعر بين لون النمل الأسود ولون الأعداء الأسود ، وهو لون يشير إلى الظلام وانتشار الظلم .

تناسلوا فيه مثل النمل ، أوجههم

سود ، وأكبادهم سود من العقد [٢]

ويكرّر الشاعر فكرة كثرة الأعداء وانتشارهم في كل مكان .

" فالنمل حول نخيلك

أكثر مما تظنين

والرمل أغدر مما تظنين

والليل زنجية لا تنام " [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص١١٧ .
(٢) المصدر نفسه , ص٣٣٦ .
(٣) المصدر نفسه , ص٤٣٠.

وهؤلاء الأعداء يقفون لنا بالمرصاد ، يصادرون أحلامنا ، ويقتلون آمالنا ، وهم كثر كحبات الرمل وأعداد النمل .

وأصارع الرمل الذي ملأ المدى

رملاً ، ونملاً قاتلاً وجراداً [1]

الإسفنج

قليلاً ما استخدم الشعراء مفردة الإسفنج في أشعارهم ، لكنّ حيدر محمود نجح في توظيف الكلمة توظيفاً حسناً ، فالإسفنج هو مادة قادرة على تشرب كميات كبيرة من المياه في حالة ، وعلى طردها في حالة أخرى ، ووظف الشاعر الكلمة توظيفاً سلبياً للدلالة على فئة من الناس قادرة على ممارسة النفاق المجتمعي ، والتأقلم مع جميع الظروف ، لأنّها تمتلك أدوات التكيف والتأقلم ، وعندما نتكلم عن التكيف والتأقلم لا نعني الوجه الإيجابي للكلمتين وإنّما وجههما السلبي القائم على الخداع والمكيدة وارتداء الأقنعة المزيفة الملائمة لتغير الظروف وتبدلها .

يا ولدي !

واركب كلّ الموج ،

فإن لم تقدر

مارس طقس الإسفنج

يعبّ مياه البحر،

ولا يشربها

ويدل الحيتان ،

على الحيتان

ولا يقربها [2]

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٣٤.
(٢) المصدر نفسه . ص٢٤-٢٥ .

ويقلّل الشاعر من قيمة العرب والمسلمين مع أعدادهم الكثيرة ، لكنّهم كالإسفنج سرعان ما ينكمش ويتقلص .

ستكونون كثيرين

كثيرين ..... كثيرين

ولكن .. لا أحد

وستمتدون (مثل الموج)

في كلّ بلد

ثم ترتدون (كالإسفنج)

لا يبقى لكم زرع ،

ولا يبقى لكم ضرعٌ ،

ولا يبقى ولد !! [١]

الطين

وردت كلمة الطين عند حيدر محمود للدلالة على حالة الذّل والهوان التي وصل إليها العرب نتيجة تفرّقهم وتخلفهم ،يقول في مدحه لسيدنا أيّوب :

وكان :
نجمة صبح الذاهبين إلى
نفوسهم
ليريحوها من الطين
ويمسحوا الهون عنها
بعدما رسفت
به ..... زمانا
وما أقساه من هون!! [٢]

---

(١) المصدر السابق ، ص١٠١-١٠٢ .
(٢) المصدر نفسه , ص٦٨ -٦٩ .

ويصف الحالة المزرية التي وصل إليها العرب من الهوان والذلّ فيقول :

" أقسم بالإعصار أن يضيء!

ومطر بريء

يغسل هذا الوسخ اللعين

فقد غرقنا كلّنا

في الطين

لقد غرقنا كلّنا في الطين! (١)

وفي موضع أخر يصوّر ملذات الحياة وتكالب الناس عليها بالطين الوسخ الذي يلوّث الثياب ويصبح المال سيداً ، والناس عبيداً له .

فالأرض ما زالت الأرض

والناس يقتتلون

على طينها

وأمام أصابع أقدامها

ينحنون (٢)

والطين لا يمثل أرضية صلبة لنمو النباتات ، فلا تعيش عليه إلّا الطحالب التي لا قيمة لها ولا وزن كحال المواطن العربي الذي كان نتاجاً عن الخوف والسأم والجوع والفراغ والعدم .

" أتيت من تلاقح الخوف

مع الخوف

ومن بكتيريا السأم !

ومن لقاء سيد الفراغ (الجوع)

بالفراغ من تثاؤب العدم

وعشت فوق الطين طحلبا

لا وزن لي

لا حزن لي

ولا ألم " (٣)

---

(١) المصدر السابق ،ص١١١ .
(٢) المصدر نفسه , ص١٣٠ .
(٣) المصدر نفسه , ص٢٤٩-٢٥٠ .

والطين واقع عربي مظلم ومستشر إلى الدرجة التي يحاصر فيها أيّة بقعة ضوء تفكّر في الظهور ،

يحاصرني الطين

كيف يحاصر هذا الجدار المعلّق

خيطاً من النور ؟!

كيف يصادر هذا الرداء الممزّق

نبض الحضور ؟!

ويمنعني من مغادرتي ...

ويسدّ علي سبيل العبور

إلى وهج مرحلتي؟! (١)

ويمتلئ المعجم الشعري لحيدر محمود بطائفة كبيرة من المفردات ، استعارها لتؤدي معنى محدداً في مخيلته ، ومن هذه الكلمات مفردة الدمى التي أراد منها معنى القادة والرموز الذين لا حول لهم ولا قوة ، ولا يستطيعون ردّ العدو والوقوف ضده .

" وتلك الدمى

ليست رماحاً ، فتنتخي

ولا خيلها (يوم الطراد)

تطارد" (٢)

فهي كالدمى ذات منظر حسن ، ولكنّها لا تؤدي الغرض المرجوّ من وجودها .

---

(١) المصدر السابق ، ص١٩٣ .
(٢) المصدر نفسه , ص١١٣ .

ومن الكلمات التي وردت بكثرة مفردتا القمح والسنابل ، وقد جاءت كلمة القمح بمعنى النصر المرتقب .

" ويسألني عنك طفل

بباب الخليل

متى يطلع القمح ؟!

للقمح ميقاته" [١]

وتأتي أحياناً بمعنى الخير العميم ، والنعم الكثيرة التي كان يتمتع بها الوطن ، ولكنّ الأعداء سلبوا هذه النعم منه ،

هنا .... كانوا

جراداً يأكل الأزهار

والأطيار

والنخلا

ويتركها : الضفاف الخضر،

لا قمح ولا دفلى! [٢]

والسنابل تمثل قامات العزة والصمود ، صمود الوطن وعزته ،

" قد رسمناك على الدفلى ،

وقامات السنابل

غابة للأعين السود ،

وحقلاً من جدائل " [٣]

---

(١) المصدر السابق ، ص١٦٩.
(٢) المصدر نفسه , ص١٧١.
(٣) المصدر نفسه , ص١٧٧.

والقمح يمثل ثروات الوطن المنهوبة ،

" ولتقسيمة النهوند... صداها

لدى المعجبين الأجانب

بالجسد العربيّ، إذا ما تثنى

وبالنفط .. ينبع من سرّة

الجمل العربي ...غزيراً،

لتنقله الريح ، للرمل ،

والرمل... للريح ،

والطائرات التي تأكل القمح

والورد [1]

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٤٦ .

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة موضوع الشعر السياسي والشعر الاجتماعي عند حيدر محمود ، من خلال دراسة تطبيقية تناولت نماذج كثيرة من شعره ، بالإضافة إلى جماليات التصوير في شعره ، وقد خلصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :

- استطاع الشاعر حيدر محمود أن يصف الواقع السياسي وصفاً دقيقاً وأن يعالج القضايا السياسية التي مرّت وتمّر بها الأمّة العربية معالجة شاملة عارضاً بشيء من التفصيل أبرز المشاكل والهزائم التي مرّت بها الأمة العربية ، مبيناً أسبابها ونتائجها .

- استطاع الشاعر حيدر محمود أن يعبّر عن هموم المواطن الأردني والعربي كالفقر والبطالة والفراغ والجهل وغياب الوعي تعبيراً دقيقاً ، مبيناً أسباب هذه الأمراض .

- تمكن الشاعر بقدرة فائقة من توظيف الشخصيات السياسية والاجتماعية ، وإسقاطها على واقعنا المعاصر ، وقد ظهرت قدرته الفائقة في اختيار شخصيات محددة مثل المتنبي وصلاح الدين الأيوبي ، وسيدنا أيّوب ، والمغني عبده موسى وتأبط شرّاً ، وعروة بن الورد وغيرهم .

- وظّف الشاعر حيدر محمود الصورة الشعرية توظيفاً جميلاً دالاً على قدرته الوصفية الهائلة ، من خلال التشبيهات والاستعارات والكنايات والرمز والتناص بالإضافة إلى التكرار والالتفات ودلالة الألوان والموسيقى الشعرية والإيقاع الجميل .

- يبدو أنّ حيدر محمود ظلّ محافظاً على خيط دقيق من مدح الشخصيات من جهة ، وانتقاد الواقع من جهة أخرى ، لذا كان يحسب أحياناً على المعارضة ، فيتعرض للتضييق وأحياناً على الموالاة ، ويبدو أن هذه الإشكالية وضعت بعض الضوابط والمحددات على شعره .
- حافظ حيدر محمود على قوة اللغة وفصاحتها من جهة ، وعلى سلاستها وسهولتها ووضوحها من جهة أخرى فهي لغة فصيحة سهلة تلامس لغة الواقع اليومي .

وأخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

١. محمود ، حيدر ، شجر الدفلى على النهر يغني ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، ١٩٨١م
٢. محمود ، حيدر ، ديوان المنازلة ، دار الكرمل ، عمان، ١٩٩١م
٣. محمود ، حيدر ، الأعمال الشعرية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١، بيروت ، ٢٠٠٢م.
٤. محمود ، حيدر ، عمان تبدأ بالقلب ، أمانة عمان الكبرى ، عمان ، ٢٠٠٤م.
٥. محمود ، حيدر ، عباءات الفرح الأخضر ، منشورات أمانة عمان الكبرى ،ط١، عمان ، ٢٠٠٧م.

ثانياً : المراجع

١. أبو زيد ، سامي وذيب ، منذر : الأدب الجاهلي ، دار المسيرة ، ط١، ٢٠١١م.
٢. أبو أصبع ، صالح ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م .
٣. أبو صبيح ، يوسف ، المضامين التراثية في الشعر الأردني المعاصر ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، ط١.
٤. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٦م.
٥. بسام ،احمد ،الصورة بين البلاغة والنقد ، المنارة لطباعه والنشر والتوزيع ص٤٥،ط،١٩٨٤م .
٦. البطل ،علي، الصورة في الشعر العربي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ،ص٣٠،ط٢ ، ١٩٨١ .
٧. التل ، مصطفى وهبي ، عشيات وادي اليابس ، وزارة الثقافة ، عمان ، ط٢، ٢٠٠٧م.
٨. إسماعيل ، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م.
٩. الجرجاني ، محمد ، علي ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، ، مكتبة الآداب ، مصر ، ١٩٩٧م .
١٠. الجرجاني ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ١٩٩١م .

١١. خليف ، يوسف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٨٦م .
١٢. الرباعي ، عبد القادر ، الصورة الفنية في النقد الشعري في النظرية والتطبيق ، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع ، ط٢، ١٩٨١م .
١٣. الرباعي ، عبدالقادر ، الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى ، دار العلوم للطباعة والنشر ، اربد ، ص ٩٢ ،ط١،١٩٨٤م.
١٤. الزبيدي ، مرتضى ، تاج العروس في جواهر القاموس ، دار صادر ، بيروت .
١٥. الشايب ، أحمد ، تاريخ الشعر السياسي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٥ .
١٦. الشطي ، سليمان ، الرمزية في أدب نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ٢٠٠٤م .
١٧. عباس ، إحسان ، فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٢، ١٩٥٥م.
١٨. عبد النور ، جبور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ١٩٧٩م .
١٩. العشماوي ، محمد زكي ،قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ،ار الشروق القاهرة ،ص٩٢ ، ط١ ، ١٩٩٤م.
٢٠. عصفور، جابر ،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار المعارف القاهرة ص٣٤١، ١٩٩٢م.
٢١. الكركي ، خالد ، الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٩م
٢٢. المجالي ، محمد ، الشاعران حيدر محمود ونزار قباني ، منشورات أمانة عمان ، عمان ، ٢٠٠٧م .
٢٣. المصلح ، أحمد ، الشعر الحديث في الأردن ، وزارة الثقافة ، عمان، ط١، ٢٠٠٤م .
٢٤. النجار ، عبد الفتاح ، التجديد في الشعر الأردني ، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١.
٢٥. النجار ، عبد الفتاح ، حركة الشعر الحر في الأردن ، الأردن ، إربد ، ط١، ١٩٩٨م .
٢٦. وادي ، طه ، جماليات القصيدة المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة .

ثالثا : الرسائل الجامعية

١. البعول ، فاطمة ، المكان في شعر حيدر محمود ، رسالة ماجستير ، اليرموك ، ٢٠٠٦م
٢. الخطيب ، مجدي ، الظواهر الأسلوبية في شعر حيدر محمود ، رسالة دكتوراه ، اليرموك ، ٢٠١١م .
٣. ربيع ، إيمان ، ثنائية الأرض والإنسان في شعر حيدر محمود ، رسالة ماجستير ، اليرموك ، ٢٠١١م .
٤. الشناوي ، علي الغريب محمد ، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي ، رسالة ماجستير ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
٥. نصار ، فايز محمود عبدالله ، الرموز التراثية في شعر حيدر محمود ، رسالة ماجستير ، اليرموك ، ٢٠٠٥ م.
٦. الويس ، مولود مرعي ، عالم حيدر محمود الشعري ، خصب الأبداع وسحر الحياة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة تكريت ، ٢٠١٠م .
٧. http://mawdoo٣.com تاريخ الزيارة ٢٠١٧/١٢/١٤/

The Political and Social Poetry of Haidar Mahmoud

By

Mikhled Mohammad Ali Al-Ayed

Supervisor

Dr. Ziyad Bani Omar

The present study studies a prominent part of Jordanian poetry، which is the political and social poetry of Haidar Mahmoud. The study has examined the following issues: the political poetry of Haidar Mahmoud and the political issues have been discussed in his poetry and traditional personages are used and elided on current Jordanian and Arab reality.

Social poetry of Haidar Mahmoud and the most important social problems that he has tackled in his poetry such as: poverty، ignorance and social hypocrisy. The social personages that Mahmoud used، hollowness، to describe this reality.

The study ends up with models of poetic diction of Haidar Mahmoud by giving two pieces of his poetry to show the beauty of diction on them.